

التجارة النسوية
الريفية



ص ٥

نحو
"مدينة أجمل"؟!



ص ٤

ملخص نتائج الاستطلاع
الاخير لبرنامج
دراسات التنمية

ص ٧

عطش الجنوب



ص ٧

ملحق دوري يختص بقضايا التنمية يصدر عن برنامج دراسات التنمية - جامعة بئر زيت

السبت ٣٠ أيلول ٢٠٠٦ الموافق ٨ رمضان ١٤٢٧هـ

من يحكم غزة؟!

صالح المصري

غزة النائرة المحررة كانت دائما عصية على الهزيمة والانكسار وتتابع على حكمها دول وإمبراطوريات.. حكمها الأتراك ومن ثم الإنجليز وبعد ذلك الوصايا المصرية وجاء الاحتلال الإسرائيلي. وأخيرا السلطة الفلسطينية. لكن اليوم، لم نعد نعرف من يحكم غزة؟ هل هي السلطة بأجهزتها الأمنية؟ أم الفصائل؟ أم العائلات والعشائر؟ أم الحكومة؟ أم الرئاسة؟ "البيدر" فتحت تحقيقا لاستطلاع المحللين والخبراء وآراء المواطنين.

العائلات

لكون غزة صورة مصغرة ومكتظة بالعائلية في كثير من الأحيان، فإن العديد من

المحللين يميلون إلى اعتبار هذه العائلة الغطاء الذي يتستر وراءه "حكام هذا البلد".

وفي هذا الإطار يقول النائب في المجلس التشريعي الفلسطيني جميل المدلاوي: "إن حركتي فتح وحماس تتحملان المسؤولية الأكبر عما يجري من أحداث تثير الفوضى في غزة، بصفتها أكبر فصيلين على الساحة الفلسطينية، وفي الوقت ذاته تتحمل حكومة حماس مسؤولية كبرى كونها التي تدير السلطة الفلسطينية وتحمل المسؤولية عما يجري".

إلى جانب ذلك، لم يبرئ المدلاوي ساحة الفصائل في تعزيز النزعات العائلية، حيث يقول: "إن سلاح الفصائل ساهم بشكل كبير في المشاكل العائلية خاصة بعد حوادث القتل بين عدة عائلات فلسطينية".

التدخلات أدت للفوضى

وفي محاولة لتحليل نفسية هذا المجتمع يقول الدكتور إيباد السراج من مركز غزة للصحة النفسية: "إن غزة من فترة طويلة تحكمها العائلات لأنها دائما محكومة من دولة أجنبية، فكان هناك استعمار أجنبي دائم، إلى أن جاءت السلطة الفلسطينية، ويستدرك: "لكن هذه الفرصة ضيعتها السلطة الفلسطينية بأدائها السيء فاصبحت وكأنها أيضا جسم غريب".

ويضيف السراج: "دائما كان هناك مستويين من الحكم مستوى الأمن الاجتماعي الذي تحميه العائلات، وكانت الجريمة قليلة وتحل بتدخل العائلات، حيث أن لكبير العائلة مكانة واحترام، وكان مستوى آخر هو مستوى الدولة الحاكمة بالشرطة والمحاكم، وكان هذان النظامان موجودين باستمرار ولم يكن يسمح لأحدهما أن يخترق الآخر".

ويؤكد السراج أن السلطة الفلسطينية ارتكبت أكبر الخطايا عندما اخترقت أجهزتها الأمنية العائلات، ما ولد اتفاقات وتدخلات بين العائلة والجهاز الأمني، فأصبح هناك فوضى وعدم وضوح للولاء بين العائلة أو الجهاز الأمني.

قانون الغاب

وفي استطلاع لرأي الشارع الغزاوي، يبدي الطالب فادي عبيد الله من العيش في دوامة من الصراعات، موضحا أن الاحتلال وأعدائه مثلوا السبب الرئيسي فيما يدور من مشاكل وعدم

الافتتاحية

لغزة سلام أت!!!!

نادر سعيد

من منكم لا يعرف غزة سيقى الدهر لا يعرف هذا التكامل الإنساني لكل فلسطيني داخل ذاته، وسيستمر بالعيش مع الانطباعات والتعميمات الخاطئة حول غزة وأهلها. وفي المقابل من يعيش في غزة كل عمره، وخصوصا الجيل الشاب، قد يكره المكان ويصل إلى حد الاكتئاب والتفكير بكل الخيارات ولكن دون جدوى، ولا أدل على ذلك الإحصائيات التي تشير إلى أن أكثر من ٥٥٪ من شباب غزة الذكور يرغبون في الهجرة لو أتاحت لهم الفرصة، معدل يزيد عن أي معدل سابق، حتى خلال الاحتلال الكامل والاجتياحات لم تصل النسبة إلى أكثر من ٢٥٪. إن تعامل القيادات الفلسطينية سواء كانت السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية أو الدينية تؤكد أنهم ينظرون لغزة من منطلق (عنصري) متعمق في النفوس، نظرة لغاية شريعتها صراع بين من يعتبرونهم (النجاح والأسود!!!!!!). إن النظرة (الدونية) لغزة ولمن يقطنها من قبل صناع القرار - على كافة المستويات - تخدم أغراضا عديدة أهمها تخلص المسؤولين من الشعور بالمسؤولية العملية أو النفسية تجاه غزة، فغزة في نفوس هؤلاء وتقديرهم مكان (عنيف) تنخره الفوضى والانكالية والظلامية والاستعداد للتطرف، ولذلك فإن غزة لا تستحق الجهد.

والأهم من ذلك، أن آلية التعامل الحالية مع غزة وفلسطينيينها، تحمل في طياتها شعور ونظرة أقل من إنسانية لأهلها، فهم من تحملوا وصمدوا وعاشوا كلاجئين وهم (متعودون) على الشدة والفقر والبؤس، ولذلك فإنهم ليسوا كباقي البشر أو حتى الفلسطينيين، تعليمهم أن يتحملوا أكثر مما هو محتمل إنسانيا، فإذا استطيع الساسة - من الداخل والخارج - الاستمرار باللعب بمصيرهم واعتبارهم أحجار شطرنج يلعبون بهم وحياتهم وبحقوقهم الإنسانية التي يستحقون، يستخدمون الدين أحيانا والوطنية والصمود أحيانا أخرى من أجل تحقيق مأرب شخصية وحزبية محلية وإقليمية.

إلى متى سيتم استخدام غزة وأهلها كفرصة للتلاعب وتحقيق المصالح السياسية لهذا الطرف أو ذاك، ويبقى السؤال: من منكم يحب غزة؟؟ لا أعقد أن السياسيين والممولين يحبون غزة، بل هم يكرهونها في أعماقهم، ويتمنى الكثيرون منهم أن تغرق في البحر، وإن لم يستطع اسحق راين تحقيق أمنيته في حياته، ولم يستطع ذلك خلفاؤه بمن فيهم شارون، فإننا نقوم بذلك بأيدنا ونحن قتل أنفسنا وأهلنا (ظلم ذوي القربى). إن غزة وأهلها يستحقون منا فقط كل الاحترام والحب، يستحقون أن يعاملوا كبشر، كل فرد منهم يعامل كإنسان، أخرجوا غزة من لعبتكم، فقد طفق الكيل، أخرجوا غزة من حساباتكم الضيقة، أعطوا لغزة فرصة، فغزة الآن، وبرغم التحديات، يمكن أن تصبح جنة فلسطين، فليس ما يمنع بشكل جدي أن تصبح منطقة سياحية من الدرجة الأولى، وما الذي يمنع أن تصبح واحة للتكنولوجيا والمعلومات، وعاصمة للمؤتمرات العربية والدولية، والمهرجانات الأدبية والثقافية والفنية والدينية، وما الذي يمنع أن ننشئ فرق الدبكة ونخرج المسرحيات والأفلام الملتزمة إنسانيا، ونفوي المزارعين والصناعيين، ونحافظ على البيئة.

العمل من أجل غزة وحده يمكن له أن ينقذنا من الذهاب إلى اللاعودة، العمل المثابر المنهج ومن القلب والعقل يمكن له أن يستثمر هذه الطاقات البشرية الهائلة في غزة، ويذهب بها إلى حلم يمكن أن يتحقق.



عدسة: صهيب جاد الله . رويترز

ثلاثة أسباب أولا الاحتلال الذي يفرض الحصار والإغلاق والتجويج على شعبنا الفلسطيني، وثانيا عجز السلطة عن تطبيق القانون بصورة عادلة حيث يطبق القانون بمكاليين فيطبق على جهة ويترك جهة، والثالث ضعف الوازع القيمي الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية.

وقال أبو هين: "إن الوطنية زادت والتدين زاد وسوء الأخلاق زاد والعلاء زادوا والفجور زاد والقتل زاد والخدات زادت ولا يوجد رابط ووازع يستطيع أن يكبح جماح هذا الوضع، لضعف القانون وبروز المنافع والأهواء الشخصية.

وبين أبو هين أن أخطر شيء مر على شعبنا هو عدم نضج الفصائلية الفلسطينية وعجزها في معالجة قضايا المجتمع الداخلية، أكد أن الفصائلية في مجتمعنا معناها اختراق القوانين والعلو على القوانين وسياسة "الاستزلام" والبلطجة فهذه معناها كارثة اجتماعية نمر بها لا محالة.

الموت أصبح هينا

ويؤكد الدكتور أبو هين أن مجتمعنا كانت علاقاته طاهرة مع بعضه البعض في زمن الاحتلال وكان الناس يخافون على بعضهم، لكن لما تغيرت الأمور الآن؟ ويجب، إن الفصائل تدخلت وأصبح كل فصيل يريد أن يجمع حوله أكبر عدد من الأفراد والمسلحين، ويريد أن يفرض هيمنة وقوة بأسلوب غير منطقي وغير صحيح، موضحا أن الموت أصبح هينا، فأصبح المواطن يقتل الآخر عندما يختلف معه، فقد المواطن الأمن وهو ذاهب إلى عمله ومدرسته وجامعته، وهو خارج من بيته، وصلنا إلى ذلك حينما لم يقوَ القانون على مواجهة هذه الظواهر، وحينما لم يقوَ القانون على أن يطبق بشكل عادل وصحيح بحيث يكون عبءا للعائنين لئلا يعذبوا بمصير الناس.

وحول الحل لهذه الأزمات قال الدكتور أبو هين إن الحل مسؤولية الجميع، فنحتاج إلى وعي ونحتاج المخلصين من هذا الشعب الذين ضحوا بحياتهم وأبنائهم وكل ما يملكون، وقال إن الشهداء لو استيقظوا من قبورهم لما رضوا بهذا الحال، ولما قبلوا على أنفسهم أن يضحوا من أجل أن نصل لهذه النتيجة، وأكد أن الحل يكمن لدى الأم والأب والأسرة والمجتمع والسلطة والفصائل والحكومة والجامع والجامعة والإعلام، وقال: "كل إنسان مسؤول لان هذا الوضع من داخلنا وليس قادما من قارة أخرى".

انضباط في غزة. وفي ذات الإطار يعتبر يوسف صادق أحد كتاب الأعمدة في الصحافة المحلية أن الاحتلال لعب دورا هاما ويكاد يكون رئيسيا في حالة الفلتان الأمني الذي تعيشه الأراضي المحتلة، إضافة إلى الدور القيادي الذي لعبه الجيل الناشئ والشباب معا في التصدي للعدوان الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية منذ بداية الانتفاضة المباركة، ما عزز الدور الفعال لهذا الجيل الذي شعر انه انتصر على المحتل دون وجود أي دور فعال للأجهزة الأمنية الفلسطينية، وبالتالي أصبحت النفسية العامة لهذا الجيل تتعالى فوق تلك الأجهزة الأمر الذي أدى إلى شلل عمل الأجهزة.

وبين صادق أن المواطن الفلسطيني في غزة بات يعيش في قانون الغاب فلا تطبق للقانون بل قوة العائلات هي السائدة.

ويعقب الدكتور رفيق دواس أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة الأقصى، على المشكلة بالقول: إن من يحكم غزة هو العادات والتقاليد والعرف الفلسطيني وانه لا يوجد حكومة قانونية واحدة.

الوضع كارثي

وحول الوضع المتردي في الشارع الفلسطيني قال رمزي شاهين نائب مدير الإعلام بالشرطة الفلسطينية: "إن السرقة في الشارع الفلسطيني سجلت ارتفاعا ملحوظا، موضحا أن بعض الثقافات تغزو شعبنا وأصبحت السرقات تطال سلاح الشهداء الذين يتعرضون للاغتيال أو سرقة المنازل التي يتم قصفها وسرقة الأجهزة الإلكترونية داخل المدارس وبعض المؤسسات العامة.

ويؤكد شاهين أن الأسرة والمدرسة والمجتمع والمسجد جميعهم يتحملون جزءا كبيرا في هذا التدهور الأمني الحاصل في الشارع الفلسطيني. وأبدي شاهين عتبه على المؤسسات وشرائح المجتمع قائلا: في انتفاضة الحجارة الأولى عام 87 كان اثنان من المثلثين ينزلان للشارع ويفرضان الأمن الاجتماعي والأمن الشخصي والقانون إلى جانب مساعدة لجان الإصلاح والفصائل ولجان الأحياء.

فقدان الأخلاق

لكن الدكتور فضل أبو هين أستاذ الصحة النفسية في جامعة الأقصى بمدينة غزة يرجع هذه الظواهر إلى

ما هو المخرج؟



إبراهيم الدقاك

أي مكان في العالم العربي دون أن يفجر الاستيعاب صراعات مريرة لا يمكن التنبؤ بنتائجها، ومن ناحية ثانية هناك موقف اللاجئين المتمسكين بحق العودة الذي لا يمكن تجاهله. ولكن مشكلة الداخل والخارج تفرض الرجوع إلى أمرين أساسيين: منظمة التحرير الفلسطينية، ودور الفصائل الفلسطينية. وتدفعنا مشكلة اللاجئين بدور منظمة التحرير الفلسطينية في صياغة الموقف الفلسطيني الواحد. وعلى الرغم من التنازلات التي قدمها الجانب الفلسطيني للجانب الإسرائيلي إلى درجة تهميش دورها، واستفادة الجانب الإسرائيلي من التهميش، تبقى منظمة التحرير الفلسطينية وإعادة بنائها في مقدمة الأولويات لأنها الضمانة لنجاح أي حل يقبله الفلسطينيون والمجتمع الدولي. ووعت وثيقة الوفاق الوطني أهمية وضرورة إعادة مراجعة وتطوير بنيتها واستيعاب القوى الفلسطينية التي ما زالت خارجها. وللصائل الفلسطينية دور هام في مهمة مراجعة بنية المنظمة وتطويرها عبر استيعاب التجربة السابقة. فهي، وبحكم وجود امتدادات لها في الخارج، تملك الفصائل إمكانية الإسهام الجاد في عملية البناء وحل مشكلات التواصل بين الداخل والخارج، وتوحيد المفاهيم والاتفاق على الاستراتيجيات والمواقف في إطار المنظمة. وهي مهمة صعبة لا إنكار، ولكنها هامة بالقدر عينه.

وتبقى الإجابة على سؤال "المخرج" من الوضع الحالي قائمة. وهنا لا بد من التأكيد بأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي لن ينتهي بالسرعة التي نتمناها، فهو صراع سوف تشهد أجيال قائمة وأجيال قادمة. وأرى أن الواجب توطئ النفس على ذلك، والاستعداد لصراع طويل. وأية إنجازات تبقى خطوة أو خطوات على الطريق، ولا تشكل حلاً نهائياً. وأنه هنا إلى المقولة الجديدة التي يطرحها الغرب لحل الصراع القائم بين الفلسطينيين وإسرائيل. فهو يدعو إلى إقامة دولة فلسطينية "قابلة للحياة" بدلاً من دولة فلسطينية سيادية. وقد تبنت المقولة عناصر فلسطينية وأخرى عربية. وتعبير "دولة قابلة للحياة" له تاريخ في الفكر الصهيوني لا حاجة للرجوع إليه. ولكن التذكير بمشروع "الحكم الذاتي" الذي اقترحه منحيم بيغن على السادات خلال المفاوضات بين الطرفين لعقد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، وترجمة نتائجه له عندما كان رئيس وزراء، كلاهما يساعدنا على التفريق بين "الدولة السيادية" التي يطالب بها الفلسطينيون، و"الدولة القابلة للحياة" المشار إليها. فقد منح نتناهاو الفلسطينيون حق تسميته الكيان الفلسطيني المقترح، مملكة أو جمهورية أو إمبراطورية دون تدخل من أحد، ولكنه حذر من أن التسمية لن تغير، في نهاية المطاف، من كون الكيان حكماً ذاتياً محدوداً. ويسأل المرء أصحاب الرأي بعد ذلك، ألا تختلف "دولة قابلة للحياة" عن "الحكم الذاتي المحدود"؟ وثمة أسئلة ثلاثة أرى ضرورة لطرحها: أولها، هل تخلت السياسة الأميركية والإسرائيلية عن مضمون "الحكم الذاتي" الذي طرحه بيغن، وفسره نتناهاو، عندما تكلمت عن "دولة قابلة للحياة"؟ ويدور السؤال الثاني عن المدى الذي سيسمح للسلطة الوطنية الفلسطينية بتطوير نفسها باعتبارها، حسب اتفاق أوسلو، "حكماً ذاتياً"؟ ويدور السؤال الثالث عن الثمن المتوقع دفعه لإحداث التطور؟

وهنا لا بد من التأكيد بأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي لن ينتهي بالسرعة التي نتمناها

المقاوم" على تنظيرات أصحاب "الواقعية السياسية"!! ومن ناحية ثانية لا بد لنا من التأكيد بأن للصمود شروطاً وتوصلت وثيقة الوفاق الوطني بين الفصائل الفلسطينية - وبخاصة بين فتح وحماس - إلى بعضها، فتبنتها. وما زالت بعض الشروط الأخرى في الانتظار. وتحولت وثيقة الوفاق الوطني إلى محطة مهمة في المسيرة السياسية الفلسطينية، تستدعي إنجاز خطوات أخرى. فقد وضعت الوثيقة ضوابط للمسار السياسي الفلسطيني بعد فقدانه بوصلته منذ خروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت في العام 1982، ومنذ اتفاق أوسلو في العام 1993. وعزز الصمود المقاوم مواقفه كعامل كايح لمسلسل التراجع الذي عرفه العالم العربي منذ العام 1979.

ولكن، ونحن نُشخص المشكلة والآليات الفاعلة في واقع شرق المتوسط، نعود إلى الداخل لنلقي نظرة على شرط آخر من شروط استدامة المقاومة والصمود وتعزيزهما بعيداً عن تنظيرات أصحاب "الواقعية السياسية"!! ولعل أهمها جميعاً ضرورة استعادة فصائل العمل السياسي الفلسطينية مرونتها وقدرتها على التكيف مع الواقع السياسي القائم. فقد فشلت الفصائل في مراجعة مواقفها السابقة حتى الآن، وتخلت عن نقد سلوكها الحالي وتجديد قياداتها، وفي إعادة

رسم استراتيجياتها بالزج الجدلي بين قراءة الواقع الاجتماعي الفلسطيني في الداخل والتجربة التي اكتسبتها في الخارج. وتحتاج مثل هذه الممارسة إلى جرأة من الفصائل وتستدعي انفتاحاً وإيثاراً حتى يتم عرض وتحليل ونقد تجربتها السابقة على ضوء التحولات التي عرفها العالم وعرفها شرق المتوسط، وعرفها المجتمع الفلسطيني في كل من القدس والضفة الغربية وقطاع غزة.

ولكن ذلك لا يكفي، فالمشكلة التي تعاني منها الأراضي المحتلة تتجاوز أدوار الفصائل السياسية الفلسطينية وحدها. فهي بحاجة إلى تقوية نسيج الشعب الفلسطيني الاجتماعي بداية، مع الأخذ بعين الاعتبار بنيته الحالية والإنشكالات التي تواجهها. والبنية الفلسطينية على تخلفها (حمائل وعشائر وعائلات وطوائف الخ)، تملك القدرة على التكيف. فالتضامات الاجتماعية القائمة التي أبقت القضية الفلسطينية حية على أجندة العالم منذ ما يزيد على مئة عام - على الرغم من السلبات التي تحفل بها - هي البرهان على ذلك. ولكن بقاءها على حالها لا يساعد على مواكبة التطور الجاري، ولا يطور الصمود المقاوم. وهنا يتوقف المرء عند آليات زيادة نجاعة عمل البنية الاجتماعية الفلسطينية وتطويره، وكذلك إلى نوعية الآليات، وطريقة فعلها، والتنسيق فيما بينها. وهنا أعود إلى ثلاث مؤسسات هامة وفاعلة في المجتمع لبناء و/أو تطوير الآليات القائمة: منظمات المجتمع المدني، والفصائل السياسية

الجادة، والجهاز الحكومي الذي فقد صدقيته بسبب ما التصق به من فساد وتسبب وتشردم وولاءات شخصية خنرت في جسم المقاومة والصمود الفلسطيني. وتطوير وتفعيل الآليات وزيادة نجاعة فعلها، وتخليها من الشوائب التي لصقت بها والتنسيق فيما بينها مشروط بتطوير وتوظيف "الديمقراطية الفلسطينية" - هذه الديمقراطية النابعة والسائنة والمستقرة بمؤسساتها

المختلفة في البنية الاجتماعية. وللوصول إلى ذلك لا بد من بناء وتطوير قيادة جماعية قادرة على الجمع والتنسيق بين المجموعات الثلاث. وفي ظني أن الحوار الوطني الذي جرى بين الفصائل الفلسطينية لصوغ وثيقة الوفاق الوطني قد أرسى بعض المعايير الضرورية، ومنها تثبيت مبدأ الحوار، وإسقاط التفرد.

وهنا نواجه الصورة الأوسع، أي العلاقة بين الداخل والخارج الفلسطينيين، ودور الخارج في التأثير على ما يجري في الأرض المحتلة، وعلى صعيد العمل السياسي الفلسطيني العام. وتقف مسألة اللاجئين في المقدمة، وهي مشكلة فلسطينية ومشكلة عربية على حد سواء. وعلى الرغم من الكواجيب التي وضعتها إسرائيل أمام عودة اللاجئين بملئها الأرض الفلسطينية بالمهاجرين اليهود، ما زال ملف اللاجئين مفتوحاً. فالسعي الإسرائيلي لتوطينهم في العالم العربي يواجه رفضاً عربياً لأسباب قومية ولأسباب محلية. فمن ناحية لا يمكن استيعابهم في

إبراهيم الدقاك

أسأل بداية: "المخرج من ماذا؟"

هل هو المخرج من الأزمة السياسية؟

هل هو المخرج من الأزمة الاقتصادية؟

هل هو المخرج من الأزمة الاجتماعية؟

يتبع تعبير "من ماذا"، العديد من الأسئلة الشبيهة، وكذلك الأسئلة الأساسية والفرعية عن الأزمات وأنواعها. وكما يخفى، يحفل المشهد الفلسطيني بالأزمات،

ويحفل بأسئلة لها بدايات ولا أحد يعلم كيف ستنتهي. وإذا ما توقفت

عند الأزمة الحالية التي أحدثها موقف الغرب من تجويع الشعب

الفلسطيني، أقول بأنها متلازمة من الأزمات التي تطبق

عليه، وهي متعددة الأوجه والتجليات، ومرتبطة من حيث

نوعها وشدها في أولويات والأولويات على أشكال، فهناك

أولويات للقدس وأخرى للضفة الغربية وثالثة لقطاع

غزة. هذا إذا تجاوزنا عن أولويات الشتات الفلسطيني.

وتحديد المواقف، كما بينت يأتي لسببين: لتجنب الخوض

في أولويات الفلسطينيين خارج الأرض المحتلة، وهي مختلفة

من جوانب عدة عن المشكلات التي نحن بصدها هنا، ولتأكيد

وجود أزمات تخص كل منطقة من المناطق الثلاث مرتبة في قوائم.

ومن المفارقات أن القوائم، مهما طالت أو قصرت، لا تتطابق، من حيث العناصر والترتيب، مع بعضها البعض في الوطن الفلسطيني الواحد. وهي على الرغم من ذلك، وعلى اختلافها من حيث الدرجة والنوع والكم، تخضع في نهاية المطاف إلى نظرية الأواني المستطرقة، أي أنها تفرز القدر ذاته من المعاناة للفلسطينيين في المناطق الثلاث.

ولكن، وأنا أواجه مهمة تحديد "المخرج" وأحاول تعيين موضوع "مخرج من ماذا"، أحدد ثلاث أزمات هي: السياسية والاقتصادية، والاجتماعية. وأعود لأنظر لكل واحدة منها لأكتشف أنها تجليات لمشكلة واحدة هي حرمان الفلسطينيين من حق تقرير مصيرهم بأنفسهم. والآلية المستخدمة لتأكيد، هي فرض التبعية على الفلسطينيين وتحويل قضيتهم من قضية سياسية إلى قضية اجتماعية، أي إلى قضية إغائية فقط مع إسقاط الحقوق القومية. وأنظر في هذا الإطار إلى دور الخارج غير الفلسطيني في صناعة الأزمات التي يعاني منها الفلسطينيون في الداخل، وأسعى إلى تلمس إيقاعها على واقعه الداخلي. ولا يعني النظر إلى الخارج تشتيت الانتباه عن دور الداخل، ولكنه محاولة لتحديد الإطار الذي تتحرك على أديمه القضية الفلسطينية خارج فلسطين. وعلى الرغم من تدويل القضية الفلسطينية لأسباب مختلفة، تمكنت من المحافظة على خصوصيتها الحقوقية والسياسية، وصانها إصرار الفلسطيني على الحل العادل لقضيته.

وبالانتقال من العام إلى الخاص، أي من الخارج إلى الداخل، تلفت نظرنا ظاهرة الانتخابات الفلسطينية الأخيرة التي جرت بحرية ونزاهة، وبموجب المعايير الغربية، وتحت مراقبة لجان دولية، وفي النتيجة نالت تقديرها وتقدير العالم. وعلى الرغم من ذلك أثارت غضب إسرائيل والغرب وبعض الأنظمة العربية على حد سواء. لم

تأت النتائج على ما اشتهدت سفن الغرب، ففقد الأخير أعصابه، وعاقب الفلسطينيين على اختيارهم، فحرمهم من قوت يومهم، بل وأطلق يد إسرائيل في الوقت ذاته، لتضربهم وتقتلهم وتسجنهم، وتهدم منشآتهم الحيوية على رؤوسهم، في سعي منها لفرض حلول عليهم تفصلها حسب مقاسها، وحسب مصالحها. والحديث عن الغرب هو حديث عن الاستراتيجية الكونية التي تتبناها الولايات المتحدة الأميركية ومن والاه من الأوروبيين وغير الأوروبيين. وهي الاستراتيجية التي تسعى إلى التخلص من أي معارضة لمشيئة أصحابها، والتخلص من المقاومة الفلسطينية واللبنانية في شرق المتوسط. وإسرائيل، على أفضل وجه هي أداة لهذه الاستراتيجية بأكثر منها صاحبة استراتيجية مستقلة، بل تصل في تجاوبها معها إلى حد التماهي. وجاءت الحرب الأخيرة في لبنان، ومقاومة الفلسطينيين وصمودهم على الرغم من الضغوط البالغة التي مورست عليهم، لتعيد ترتيب الأوراق في المنطقة. وفي النتيجة انتصرت إرادة الصمود - صمود الفلسطينيين، وصمود اللبنانيين، أي الصمود على التجويع وعلى الضرب والتقتيل والسجن، وهدم المنشآت الحيوية، ومقاومة الحلول الجزئية. وبتعبير أدق انتصر "الصمود

لم تأت نتائج الانتخابات على ما اشتهدت سفن الغرب

مكافحة البسطات في رام الله والبيرة خطوة نحو "مدينة أجمل"



أحد البسطات في مدينة رام الله

يفرض بالقوة، فلا يعقل أن تتحمل مدينة رام الله هذا الكم الهائل من التجار وباعة البسطات القادمين من 120 قرية مجاورة، إضافة إلى الباعة من قرى شمال وجنوب الضفة، فالكل يريد أن يبيع وبالتالي يكتظون ببسطاتهم في منطقة مركزية، يمر بها 150 ألف نسمة يوميا، مشيرا إلى تواجد 90-100 بسطة في بلدية رام الله وحدها قبل تاريخ الحملة، معتقدا أن المشكلة عولجت جزئيا. والبديل يقول قندح وفق أجندة بلدية رام الله هو سوق شعبي، ولكن ليس هناك إمكانات متوفرة على أرض الواقع، فأصحاب الأراضي وسط المدينة يرفضون بيعها، والبلدية لا تفضل أماكن بعيدة عن مركز السوق، إضافة إلى أن مظهر المدينة السياحي لا يسمح باختيار أي مكان، وهناك إمكانية تنظيم سوق شعبي يوما أو يومين في الأسبوع.

توارث المكان

أما مسؤول قسم الصحة في بلدية البيرة محمود نيروخ، فأشار إلى وجود البسطات في جميع أنحاء العالم، ولكن الفرق أنه في الدول المتقدمة يخصص لها مكان محدد وفق مساحة معينة تحدد لكل بائع يدفع رسوما للاشتراك، أما في الدول النامية، فالأمر يمارس بشكل عشوائي وغير منظم، ولا مجال لإقناع الباعة إلا بالإجراء الفعلي ومكافحة الظاهرة بحملات مستمرة.

الحملة مطلب شعبي

"بلديتا البيرة ورام الله أثبتتا أن القانون والنظام يبدأان من الداخل"، يقول نيروخ مضيفا أنهما لم تنتظرا انفراج العوامل الخارجية كالأوضاع السياسية والاقتصادية حتى تسارعا في تنفيذ عملهما، بل انطلقتا وفق العطلات المحدودة ونجحتا. كما أشار إلى أن التحديات أمام البيرة أكثر من رام الله، نظرا لوجود مجمع الحسبة في مركز مدينة البيرة الذي اثر سلبا في ازدياد البسطات وامتدادها بشكل كبير وصل قبل حملة الكفاح إلى 300 بسطة، ومن هنا أكد نيروخ: "تحاول ألا نكون عاطفيين في حملتنا لأنها مطلب شعبي من الناس وللناس". ولكن هناك بعض الأماكن قال نيروخ- كالطرق غير الرئيسية

وكان الدغامين ذكر تغريمه 50 شيقلًا مع حجز البضاعة سابقا حين كان يبيع في رام الله، ما أدى إلى انتقاله إلى البيرة واصفا الوضع بالأقل تشددا، مؤكدا أنه يحترم القانون، ولكن في حال اوجد له البديل، وختم قوله: "لن يمنعوني إلا في حالة واحدة، إذا مت".

دوافع عديدة للحملة

جاد قندح مدير دائرة الخدمات في بلدية رام الله، يتحدث عن دوافع الحملة ويجعلها في تراكم الانطباعات والملاحظات السلبية عن البسطات المتناثرة على أرصفة وشوارع المدينة من قبل أهالي البلدة، وتضييقها على المشاة أولا، وتدني سلوك عدد من بائعي البسطات العابثين الذين لا يهدفون إلى البيع بقدر الإساءة للمارة ومضايقتهم، والحد من استغلال المؤسسات والموزعين لبائعي البسطات وتشجيعهم للبيع على الأرصفة بهدف الترويج. وأرجع قندح ازدياد البسطات هذا الصنف بشكل ملحوظ إلى تفاهم أزمة الرواتب، وعمل طلاب المدارس في العطلات الصيفية، إضافة إلى تغيير وضعية حاجز قلنديا وانتقال الباعة منه إلى رام الله.

والبسطة من وجهة نظر قندح هي وسيلة للتسويق غير الجيد، وباعتها لا يدفعون رسوما ولا يحترمون القانون، وينافسون التجار ويبيعون نفس البضاعة وبأسعار أقل أحيانا، في نفس الوقت الذي يدفع فيه التاجر رسوم البلدية ويحترم القوانين إلى درجة معينة.

وحول الإجراءات أشار قندح إلى تعزيز فريق كامل من مفتشي البلدية يعمل في دوريات بدأت تتابع حديثا الفترة ما بعد الظهر، من الثانية إلى التاسعة مساءً. معلنا أن 90% من البسطات تمت إزالتها من داخل حدود بلدية رام الله، وتم انتقال البلدية إلى مرحلة متابعة التجار ومنع امتداد بضاعتهم على الأرصفة.

البديل سوق شعبي

وقال شرطي فلسطيني رفض الكشف عن اسمه، إن المواجهة اتسمت بردود أفعال غاضبة، وشتائم، ومشادات كلامية، وممارسة العنف أحيانا، وكان العظم يصرخ متعللا بالوضع السياسي السيئ: "تركونا في همتنا". ومنهم من يذهب ويرجع ومنهم من يذهب إلى منطقة البيرة هروبا من الشرطة ومفتشي البلدية أو العكس. قندح يعلق على ردود أفعال البائعين بأن القانون يجب أن

رأي عبتاوي

ليس لمشهد البسطات المبعثرة داخل مركز مدينتي رام الله والبيرة من تفسير إلا انتشار الفوضى وغياب القانون بصرف النظر عن الظروف الاقتصادية الصعبة، فالبسطات في هاتين المدينتين كانت أبرز ملامح هذا الصيف وفاقت الاحتمال، فاطلقت بلديتا المدينتين حملة نحو "مدينة أجمل وأكثر نظاما"، شاركت فيها الشرطة والمحافظة ومفتشو البلديتين، منذ منتصف آب حتى الآن، بجهود مكثفة تبدأ يوميا من السابعة صباحا حتى السابعة مساء، اكتنفتها الصعوبات وردود الأفعال الغاضبة، إلا أن القانون نفذ، والعقوبة طبقت. واعتمدت البلديتان في حملتهما على قانون الحرف والصناعات لسنة 1953، الذي يتضمن في المادة رقم 4: ضرورة أخذ رخصة لتعاطي حرفة مصنفة، ولا يجوز لأي احد تعاطي أي حرفة في أي منطقة يسري عليها القانون إلا إذا كان يحمل رخصة صادرة بمقتضاه من سلطة الترخيص (البلدية). أما العقوبة وفقا للمادة رقم 9 فتكون عبارة عن الحبس أو غرامة مالية لا تتجاوز 50 دينارًا.

لا يفرق البائع عن بسطته إلا الموت

سليمان "أبو عبد الرحمن" رجل في الستين يبيع حلالة سمسمية عند أحد الأرصفة المقابلة لدوار الساعة، يأتي يوميا من بيت لحم، يبيع بضاعته على بسطة منذ 40 سنة لا يحيد البيع في بيت لحم لأن الإقبال ضعيف مقارنة مع رام الله، وعن بسطته يقول إنه يحاول تجنب الوقوف في منتصف الطريق ومضايقة المشاة. ويصف الحملة بالظالمة لأن الوضع السياسي سيئ، حيث يدعو البلدية إلى "أن تترك الناس في حالها"، مؤكدا أنه سيبقى بائع بسطة مهما طرد، لافتا النظر إلى إصابته في حرب 67 وعدم قدرته على التنقل من مكان لآخر.

ويقول ساري الدغامين (من السومع بمحافظة الخليل) الذي يبيع الترمس والبول والفول وغزل البنات في البيرة على عربة متنقلة: "الحركة ضعيفة واليومية 50-70 شيقل وهذه السليات ما يتمشي في سوق مجمع البسطات".

التسول في الشارع الفلسطيني..

ظاهرة متفشية أم مهنة باحتراف؟

كتبت همسة التابه

رغم أن التسول ليس بالوضع الجديد؛ إلا أن هناك تقاعسا واضحا من قبل الجهات المعنية ووسائل الإعلام التي ساهمت في تفاقم الظاهرة، ما يوجب اتخاذ إجراءات أكثر صرامة بحق المتسولين ليتم ردهم، وتنفيذ القرارات الصادرة عن الجهات المعنية، وبلورة خطط ميدانية لمكافحة الظاهرة.

سنوات في التسول

بحذر شديد تتربص أم محمد النكان الذي تفتقره منذ ساعات الصباح الباكر على جانب الطريق المؤدي إلى شارع ركب وسط رام الله، خوفا من مرور دوريات الشرطة المنتشرة في المنطقة، والتي قد تكون سببا في تعكير صفو يوم قد تجني فيه بعض الشواغل، من خلال استجداء عطف المارة وكرمهم بكلمات منقاة تثير الشفقة.

تجلس أم محمد ويبيدها طفلها الرضيع الذي تؤكد أن تواجده يستعطف المارة بشكل كبير، وقد ظهرت عليها علامات التملل أثناء جلوسها، واعدت ذلك إلى أن يوم الخميس يوم عمل جاد تستطيع من خلاله كسب المزيد من المال، على خلاف بقية أيام الأسبوع وان ساعة حديثنا هي ساعة الذروة.

أما عن مبررها للجوء لهذا العمل فقالت: لقد أجبرتني ظروف حياتي القاسية على مثل هذا الوضع، وخاصة في مثل الظروف الحالية التي نعيشها، فانا لا أستطيع تأمين مصروف أبنائي الثلاثة، خاصة وان لي طفلا رضيعا بحاجة إلى الحليب والملبس، بالإضافة إلى مصروف المنزل من ماء وكهرباء ومتطلبات الحياة الأخرى.

وتؤكد أم محمد القادمة من غزة- وقد عملت لأكثر من أربع سنوات كمتسولة على حاجز قلنديا- أنها لم تعد تمارس عملها هناك، كون الحياة على الحاجز لم تعد كما كانت قبل عام، حيث كان المكان يعج بالحركة وظروف حياة الناس كانت أفضل، فقد كانت اليومية هناك لا تقل عن الـ 200 شيقل، بينما الآن ونتيجة الظروف الصعبة التي يعيشها شعبنا ونتيجة انقطاع الرواتب لم تعد يوميتها تتجاوز الـ 80 شيقلًا.

وتضيف أم محمد التي تدفع 110 دنانير أجرة المنزل الذي تقطنه أنها تخدم في المنازل بشكل أسبوعي، باستثناء يوم

واحكي معها"، مرددة كلمات حفظتها عن ظهر قلب وهي تمد بكفها لتقول: "من مال الله اعطيني، الله يحن عليك حن علي"، حاولنا في ذلك اليوم العثور على والدتها لكننا لم نفلح، لربما كانت في مكان أكثر راحة لجلب المال.

الشرطة: التسول أصبح مهنة

بدوره أكد العقيد وسيم الجبوسي مدير شرطة رام الله أن المعلومات المتوفرة وتم جمعها والتحري عنها تثبت أن التسول عبارة عن نوع من المكسب المادي والمهني، وقد أصبح مهنة يحترفها أصحابها مقابل مكسب مادي، وليس لحاجة أو لعوز لان المحتاج يبذل قصارى جهده من أجل الحصول على العمل الشريف وكسب المال وليس التواكل والاستجداء، وان الإنسان الذي لا يملك قوت يومه يحترم نفسه ولا يعرضها للإذلال والإهانة، معتبرا التسول الذي يتواجد على جنبات الطرق أو الأماكن العامة إنما هدفة المكسب المريح. مضيفا أن الظرف الاقتصادي الحرج الذي يعيشه أبناء الشعب الفلسطيني اثر بشكل سلبي على حياة المواطنين، والتسول كان بمثابة ظاهرة استفحلت في الآونة الأخيرة لتتحول إلى مهنة مؤكدا أن انقطاع الرواتب لا علاقة له بالظاهرة.

وشدد الجبوسي على أن مهنة التسول بداية للانحراف، قد تجر أصحابها إلى عالم الجريمة التي لا تحمد عقباها، والتي قد تنعكس بشكل سلبي على سلوكيات الأشخاص الذين يمارسون هذه المهنة والذين قد يتعرضون لابتزاز واستغلال وبخاصة النساء والأطفال، مؤكدا أن اجتماعات حديثة عقدت مع البلدية تم خلالها اتخاذ قرارات وخطوات جادة من أجل الحد من الظاهرة، وذلك بالتعاون مع وزارة الشؤون الاجتماعية.

جهود متضافرة لمكافحة الظاهرة

وفي السياق ذاته أكدت جنيت ميخائيل رئيسة بلدية رام الله أن قضية التسول قيد البحث والمتابعة، حيث سيتم شن حملة واسعة النطاق لمكافحة الظاهرة، وقد جاء ذلك خلال اجتماع عقد مع الأطراف المعنية من أجل مناقشة الأمور الأكثر سلبية في المحافظة، وكيفية تطوير المدينة وتنفيذ إجراءات وقرارات حاسمة للتهوض برام الله، مشددة على ضرورة تضافر

الجهود من قبل الشرطة والشؤون الاجتماعية والمجتمع المحلي والمواطنين الذين حملتهم مسؤولية تفشي هذه الظاهرة. داعية إلى ضرورة تعاون المواطنين والتزامهم بالقرارات التي تصدر عن الجهات المسؤولة للوصول إلى الهدف المنشود.

وكشفت ميخائيل بدورها عن وجود شبكة وصفتها بـ"الشبكة" يتواجد أصحابها مقابل حسبة رام الله بعدما يتم إزلالهم من سيارات أعدت خصيصا لجمعهم ونقلهم من أجل توفير ظروف ملائمة للعمل. مشددة على أن الوضع الاقتصادي السلبى قد يزيد من تفشي مثل هذه الظاهرة، مؤكدة عدم وجود دراسات وإحصاءات عن المتسولين ولو بشكل مبدئي.

وأكدت مصادر في الشؤون الاجتماعية أن أهم العوامل التي تزيد من انتشار التسول، الوضع الاقتصادي المتردي، وانتشار البطالة، والتفكك الأسري، وعامل الجهل والمعتقدات البالية والخطئة التي يؤمن بها البعض، وعدم رغبة الطلاب في الدراسة في ظل الظروف الحالية والتسرب من المدارس، وغيرها من العوامل التي قد تجر الأطفال والنساء إلى الشارع وبالتالي التسول. معتبرة أن العلاج الأمثل للحد من التسول والذي أكدته الدراسات هو إعادة هؤلاء الأطفال للدمج في المدارس وعمل زيارات ميدانية للأهالي لتوعيتهم بمستقبل أبنائهم، ودمجهم في مراكز التأهيل وتوفير مصدر دخل وعمل شريف لهم وتأمين الحماية لهم داخل أماكن عملهم.

ولا يختلف المشهد في مدينة رام الله التي تبدو فيها الصورة جلية عن بقية المدن الفلسطينية، فالصورة هي ذاتها، حيث يبتكر المتسولون وسائل وأساليب بارعة لاستدرا عطف المارة، كالتدرب بوجود عاهة مستديمة لا يستطيع من ورائها التسول كسب الرزق، وإقناع المارة بوجود أيتام بحاجة للرعاية، واستغلال الطفولة بأبشع الطرق لترتسم مأساة الأطفال الحلقيين في الشوارع كالطيور الجريحة على وجوههم وهم يفتشون الأرض من أجل بيع ما تيسر من علكة وعلب محارم، ومنهم من يبيع القهوة على الحواجز الإسرائيلية فيكونون لقمة سهلة للانجرار نحو الهاوية، إضافة إلى تراكم بعض الفتية الذين يحملون آيات قرآنية وراء المارة لجلب بضعة شواقل.

«حكي جرايد»

عماد الأصفر

تعاني الصحافة العربية بشكل عام من قلة القراء وتدني مستوى التأثير في عمليات التغيير سواء اجتماعيا في صفوف الأفراد أو على مستوى الموازنة بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية بوصفها رقابة شعبية أو "سلطة رابعة" لا "راكعة" بحسب احد الزملاء.

كما تعاني الصحافة من قلة الاحترام بدل أن تكون مصانة مهابة الجانب ففيما يستشهد المواطنون في الدول المتقدمة بما تورده صحفهم ووسائل إعلامهم للبت في أي جدل نجد أن من يلجأ إلى هذا الاستشهاد في مجتمعاتنا يجابه بالرد المعروف "كلام جرايد" أو "حكي إعلام".

الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف وتلك المهانة كثيرة منها جور السلطات، ونقص الموازنات، وغياب النقابات أو ضعفها، والنقص الحاصل في التشريعات، وتدني مستوى الديمقراطية، وعدم تحديث مناهج تدريس الصحافة في الجامعات، وحقيقة أن معظم مدرسي الصحافة لم يمارسوا العمل الصحفي، وأن التدريب العملي للطلبة غير كاف، وأن وسائل الإعلام مملوكة للدولة وتعمل لخدمتها فقط، أما وسائل الإعلام الخاصة فقد انتهجت أسلوب صحافة العلاقات العامة، وغيرها من قائمة الأسباب التي تمتد لتشمل الوضع الاقتصادي والاجتماعي، ومستوى التعليم، وانتشار البث الفضائي، والوفرة في عدد الاختيارات، وكثرة الفضائيات الترفيهية.

يقف في مركز هذه الأسباب تراجع أو غياب دور بقية السلطات (التنفيذية والتشريعية والقضائية) صحيح أن الإعلام يلعب دور الرقيب على أداء هذه السلطات، لكنه لا يستطيع العمل بشكل مثمر في ظل غيابها أو تعطلها شبه الكامل.

في مثل هذه الظروف تكون أحوال ما نكون إلى الجرة التي تدفع الناس - شعبيا ورسميا - إلى الدفع باتجاه التغيير المطلوب، هذا التغيير أو الإصلاح يجب أن يعطي للصحافة الحماية المطلوبة التي تؤهلها للعمل، وهذا الإصلاح يجب أن يشمل الصحافة لأن إصلاحها يقطع نصف الشوط في مسيرة الإصلاح العام.

ولكن من بين هذه الأسباب الكثيرة نجد أنفسنا معنيين أكثر بالتركيز على الأسباب الذاتية المتعلقة بنا كخدم مخلصين في حضرة "صاحبة الجلالة"، أو كمشاغبين منتسبين لـ "مهنة المتاعب"، يدفعنا إلى ذلك أن التغلب على العوقات الذاتية سيشكل منصة الانطلاق اللازمة للتغلب على العوقات الموضوعية.

ومن بين أهم الأسباب الذاتية: ضعف المهنية ونقص الجرة، فالصحفي الضعيف مهنيا طبيب فاشل يخطئ في تشخيص المرض، وبالتالي يفشل في علاجه، أما غياب الجرة فقد سبب تراجع موقع الصحافة من سلطة رابعة كما هو مفترض إلى أربعين أو أكثر كما هو قائم حاليا.

ولكن سيبقى السؤال قائما حول مدى توفر الحاضنة الإعلامية أو وسيلة الإعلام القادرة على استيعاب إعلاميين تمكنوا من امتلاك المهنية والجرة، وحول مدى امتلاك هذه الوسيلة للشعبية من قبل الجمهور.

وكمحاولة للإجابة على هذين السؤالين أقول انه في خضم الأحداث الأمنية والسياسية الكبرى التي تجتاح فلسطين دوما تغيب أو تضعف اهتمامات وسائل الإعلام بالكثير من القضايا المجتمعية، ما يؤدي إلى تزايد الهجرة البصرية والسمعية بعيدا عن الإعلام المحلي.

وغني عن القول أن الإعلام الفضائي وهو الأكثر متابعة في فلسطين لن يشغل همومنا المحلية، وليس من واجبه أن يشغل بها، وغني عن القول أيضا أن العدد الكبير من الوسائل الإعلامية الفلسطينية الرسمية والخاصة لن تستطيع استعادة جمهورها أو بعضها على الأقل إلا عبر انشغال عميق ودؤوب بالشأن المحلي.

لدينا الكثير من المحطات الخاصة ولكنها ضعيفة التمويل فاقدة للتوجه، ولدينا الإعلام الرسمي الذي لا يخفى حاله على احد، نتيجة لهجرة الكفاءات ونقص الموازنات والاعتبارات السياسية، وعدم استيعاب السلطة لخصوصية احتياجات المؤسسة الإعلامية، وقد تزداد هذه الصورة مأساوية إذا ما تذكرنا الاستقطاب الحاد بين فتح وحماس، وبالتالي لا يبقى لدينا إلا مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية، فلدى هذه المؤسسات توجهات مجتمعية واضحة في كافة المجالات ورسالة تزداد الحاجة إليها يوما بعد يوم نتيجة لتناقص السلطة وانهيار التنظيمات، ولدى هذه المؤسسات أيضا التمويل الكافي أو القدرة على جذب تمويل يؤسس لوسيلة إعلامية مجتمعية.

لم يفلح إعلام المنظمات غير الحكومية في أن يكون إعلاما شعبيا، لأنه اعتمد الملاحق الصحفية قليلة الانتشار أو انتهج أسلوب دعم البرامج الإذاعية والتلفزيونية المتقطعة، وهو ما كلفه أموالا كثيرة دون كبير مردود، ولأنه ورغم قوة ووجاهة المحتوى لم يعتن كثيرا بالشكل، ففي العمل الإعلامي - وخاصة التلفزيوني وهو الأكثر شعبية - تتساوى المضامين مع الأشكال الفنية في الأهمية، واعتقد انه أن الأوان لكي تتقاسم مجموعة من المنظمات غير الحكومية العاملة في القطاعات التنموية ملكية محطة تلفزيونية تقدم الرسالة المجتمعية دون تركيز على السلبات فقط ودون إهمال لجانب التشويق.

«الصبر على شوك الصبر أهون من الاستدانة» التجارة النسوية الريفية.. إعالة بشرف اليد وطهارة المهنة

محمود الفطافطة



بانعة عنب في حسبة رام الله

الخسارة.. تجليات وأسباب

وأحيانا تتجاوز معاناة هؤلاء التجارات المتاعب والفاجات إلى الخسارة التي تتعدد تجلياتها وأسبابها، فإم سهيل "تضمنت" بضع شجرات من الصبر، بمبلغ 60 دينارا أردنيا، لكنها لم تستطع أن تجني منها ما يوازي هذا المبلغ بسبب بعد الأرض المزروعة بهذه الشجرات عن منزلها الكائن في قرية نعلين، الأمر الذي دفع ببعض المواطنين لسرقة صبر أم سهيل.

إلى ذلك، فإن من أسباب هذه الخسارة، ازدحام السوق بمثل هذه البانعات، ما يؤدي إلى تخفيض السعر من قبل بعضهن بهدف تسويق المنتج بسرعة ويعدن إلى قراهن قبل أن "تغرب الشمس"، خصوصا في ظل تناثر الجواز على طرق ومدخل القرى الفلسطينية، هذا التخفيض قد يؤدي بالأخريات إلى الفعل مثله، ما يؤدي إلى خسارتهم، لا سيما إذا كانت هذه البانعة أو تلك قد "تضمنت" كرما من العنب مثلا بمبلغ عال.

كما أن تضرر الشجر، وتحديدًا العنب والتين بسبب آفات مختلفة، يؤدي إلى خسارة هؤلاء البانعات، خاصة اللاتي قد تضمنن محصولا ما، فضلا عن عدم قدرة بعضهن على تسويق مجمل المحصول (كما حصل مع حسنية إبراهيم من كفر نعمة)، وغيرها من الأسباب التي تكون عوامل خسارة هؤلاء التجارات.

الجودة والمساعدة

وعن رأي المشتري في منتجات هؤلاء النسوة، تقول المواطنة ميسر علي خليل: "إن نوعية هذه المنتجات مقبولة، وكذلك أسعارها، بحيث نشترى من هؤلاء النسوة إيمانا بجودة هذا المنتج من جهة، والتزاما بأهمية مساعدة هذه البانعة التي فضلت على نفسها عناء القطف والبيع، بدلا من أن تسال هذا الجار، أو ذاك الشخص".

من جهته يرى المواطن سعيد محمد أبو حسني أنه يتوجب على المشتري أن يقبلوا على ابتياع ما يريدونه من عنب أو تين أو صبر أو فجل وغيره من هؤلاء النسوة، لأنهن في أمس الحاجة إلى المال من جانب، والخسارة سريعة وواسعة لهن في حال لم يتمكن من تسويق منتجاتهن.

وفي هذا السياق يمكن القول إن مثل هذه التجارة لم تختزل في المرأة، وإن كانت هي التي تأخذ قسطا كبيرا من المساهمة في ترويحها، فهناك بعض الرجال الذين يمتنون هذه التجارة.

تجارة الاضطراب

وبخصوص اعتبار هذه التجارة تشكل دخلا ماليا، وعملا اقتصاديا للكثير من العائلات ذكر الباحث محمد الشلالدة أن هذه التجارة أصبحت تمثل ما يمكن وصفه بالاقتصاد المقاوم أو (تجارة الاضطراب) التي تلجأ إليها كثير من العائلات الفلسطينية في ظل الظروف العيشية القاسية جدا، موضحا أنه على الرغم من محدودية هذه التجارة وصاله مردودها، إلا إنها تساهم في سد الحاجة ولو بحد مقبول لعائلات فلسطينية حرمت من معيها بسبب الموت، أو السجن، أو البطالة، أو الطلاق.

ما يمكن استخلاصه من مثل هذا الشكل من التجارة الذي راج مؤخرا بصورة لافتة، أنه ملمح بارز من ملامح الحالة المعيشية الصعبة للعائلات، ويعكس تصميما من المرأة الفلسطينية على إعالة أبنائها بشرف اليد، وطهارة المهنة.

الضيف بغض الضيف

وداد البرغوثي

عندنا مثل يقول: "الضيف بغض الضيف والمحلي بغض الكلي (الكل)". كل القيادات ضيوف على هذا الشعب، والشعب وحده هو المحلي (أي صاحب البيت)، لأن صاحب البيت أبعد ما يكون عن بغضاء الضيوف فيما بينهم، ولا علاقة له في كراهيتهم لبعضهم، قد يتحملهم قليلا أو كثيرا، لكنه إذا أحس أن ضيافتهم "ستسبب بئنه" ويبدن أهله سيرفضهم جميعا ويطردهم جميعا. ما يجعلني أستذكر هذا المثل كل لحظة، هو الحال الذي وصلنا إليه.

فالكل ينتقد الكل، والكل يشتم الكل، والكل يتهم كل واحد من قادة أو كواد أو ممثلي العمل الوطني والجهاديين، من فصائل السلطة أو من المعارضة، وينظر للآخرين كلهم على أنهم خاطئون خطاؤون ووحده العصوم عن الخطأ، وحده من حباه الله بنعمة الابتعاد عن الخطيئة.

كلنا نمتلك ملكة النقد، لكن لا أحد فينا يمتلك ملكة النقد الذاتي أو يعترف بأنه أخطأ ذات يوم، أو أنه مسؤول عن أية مشكلة أو عن أية نتيجة مهما كان ضالعا في المشكلة. وننسى أن: خير الخطائين التوابون، بل ونستبدل "التوابين" بـ "النسائين".

الموظفون بلا رواتب والطلبة في الشوارع، أبواب المدارس أصبحت ملأها أمناء للعناكب الضالة، والمرضى ليس لهم إلا وجه الله. من يشجع الإضراب يمارس الضغط على الحكومة فيما لا يمارس أي ضغط من أجل تخفيف الحصار، ومن ضد الإضراب يخون المضربين ويشكك في وطنيتهم. والناس أصبحوا في حيص بيص. والمعارضة التقليدية اليسارية أعجز من أي فعل. والكل يسمعا كلاما وكله كلام في كلام. لا يسمن ولا يغني من جوع.

بعض الفلسطينيين مستعد لأن يلتقي حتى مع الشيطان دون أن يضع شروطا لهذا اللقاء، وفيما هذا البعض يصرح بذلك نجده في ذات الوقت يضع الشروط والعراقيل للحيلولة دون التقائه مع قائد فلسطيني آخر من فصائل آخر.

يا إلهي، لماذا كل هذا التباغض والتنافر؟ من أجل ماذا؟ بغض الطرف عن عشرات القواسم المشتركة ونتمترس وراء قضية خلافية. كيف سنحرق وطننا وكيف سنبنيه بهذه العقول؟

قبل كتابة هذا المقال كنا نجلس أمام التلفاز. مشاهد كثيرة ومواقف كثيرة وأحداث كثيرة نجد عيوننا تلتقي سوية دون سابق اتفاق عندما نشاهدها أو نسمعها.

كان أحد سائقي سيارة الإسعاف اللبنانيين من حزب ميشيل عون اسمه آرام شلو يتحدث عن تجربتهم خلال الحرب ونقل التموين والغذاء والإسعاف لعائلات المهجرين من الضاحية الجنوبية، قال بتأثر: "سابقا ما كانت الضاحية تعني لي شي هلق صرت أروح لها يوميا وأحس إنني مرتبط كثير بالعائلات اللي فيها. مش مهم الطوائف المتعددة، لبنان كله شخص واحد". أنا وزوجي - القادم من مؤتمر صحفي تحدث فيه ممثلو كل القوى وانتقدوا وأكد كل واحد منهم أنه "الصح المطلق" - نظرنا إلى بعضنا ودون سابق اتفاق تبين أن دموعا كثيرة كانت تستعد للظهور وكأنها تقول: أحرام أن تكون فلسطين "شخصا واحدا"؟ ما أوجعنا إلى قيادة نوحنا تحت ظلها! ما أوجعنا إلى "سماحة سيد" فلسطيني!

وساعتها لن يبغض الضيف الضيف، وسيسعد صاحب البيت باستضافة الضيوف وإكرامهم.

لم تكن المواطنة صريحة خليل موسى من قرية كفر نعمة ترغب في بيع "الصبر" في مدينة رام الله لولا الحاجة إذا أحس أن ضيافتهم "ستسبب بئنه" ويبدن أهله سيرفضهم جميعا ويطردهم جميعا. ما يجعلني أستذكر هذا المثل كل لحظة، هو الحال الذي وصلنا إليه.

فام عيسى التي حرمت من زوجها المعتقل منذ أربعة أعوام، ويقضي حكما لمدة تسع سنوات لم يوجد لها "سند" يخفف عنها من وطأة وضراوة هذه الحياة التي تصفها بالقاسية جدا، وبأنه لم يسبق لها مثل في معاناتها.

ونتيجة لهذه الحالة الصعبة التي تمر بها أم عيسى اضطرت كما تروي إلى "ضمان" خمس شجرات من الصبر بمبلغ 80 دينارا أردنيا، حتى تتمكن من بيع نمارها، ومن ثم تحول بينها وبين سؤال الناس، فـ"الصبر على شوك الصبر" وقسوته أهون بكثير من الاستدانة". هكذا تقول أم عيسى.

انتشار واسع وإقبال متزايد

ومثل هذه المواطنة نساء كثير، فما إن تقوم بجولة في محيط سوق الخضار بوسط رام الله (الحسبة) إلا وتجد عشرات من النسوة اللاتي افتقرن الأرض من كلا الجانبين يقمن بجد ونشاط ببيع ثمار ومحاصيل الصيف المختلفة، فهذه تسوق العنب، وتلك تعرض التين، وثالثة تباع الفجل والخس والنعناع والبقدونس والمبرمية، وأخريات ينتظرن مشتريا "ليتخلصن" من صندوق الصبر الذي أحالت حرارة أيلول لونه إلى الأحمر الغامق. هذه التجارة المحدودة في اتساعها مقارنة مع تجارة الخضار والفاكهة، برزت خلال انتفاضة الأقصى بصورة واضحة بسبب الأوضاع الاقتصادية الصعبة لكثير من العائلات، وشهدت اتساعا ملحوظا خلال أشهر صيف هذا العام نتيجة لأزمة الرواتب المتفاقمة لوظفي القطاع العام، والارتفاع المتصاعد في نسب البطالة، إلى جانب عدم وجود فرص عمل لعشرات بل لمئات الآلاف من الفلسطينيين.

والآلاف في هذا المجال، أن هذه "التجارة النسوية الريفية". كما يسميها المواطن محمد أبو علي- شهدت إقبالا متزايدا من المشتريين، واعدت بانعة التين الحاجة زهرية أم خليل من قرية نعلين ذلك لعدة أسباب، فالمشتري يعتبر هذه الفاكهة طازجة وناضجة، ومن ثم سعرها ليس غالبا، إضافة إلى أن بعض المتسوقين - من منطلق العطف والمساعدة- يبتاعون ما لدى هؤلاء النسوة، لإدراكهم الحاجة الماسة التي أجبرتهم على اللجوء لهذه التجارة.

متاعب ومفاجآت

وتواجه النساء في هذا النوع من التجارة متاعب ومفاجآت، فالمتاعب تسردها البانعة حليلة "أم هاشم" من نعلين، حيث تقول: "في كل يوم أصلي الفجر، وأذهب برفقة عدد من أبنائي الذين تتراوح أعمارهم ما بين 12-17 عاما إلى الأرض التي تبعد عن بيتنا مسافة الكيلومتر تقريبا، والتي خلالها نصادف حاجزا إسرائيليًا متنقلا بشكل شبه يومي، الأمر الذي يبدد الذعر والقلق في، خوفا من حدوث مكروه لأولادي من الجنود الإسرائيليين واستفزازهم".

وتضيف: ما إن نقوم بجني ثمار التين، ونعود أدراجنا نحو القرية، حتى أذهب إلى مدينة رام الله لبيع ما قطفناه، في حين يعود الأبناء إلى البيت نتيجة إضراب المدارس، في الوقت الذي ينتابني قلق آخر عليهم بسبب عدم وجود أحد يعتني بهم، خصوصا وأن أصغر البنات لا يتجاوز عمرها خمسة أعوام.

وفيما يتعلق بالمفاجآت، فإن بانعة الصبر أم وليد من كفر نعمة تسرد حكايتها، حيث تقول: "في إحدى المرات صادفت السيارة التي تقلنا إلى رام الله أحد الحواجز الإسرائيلية، فقام الجنود بتفتيش ما في السيارة وإلقاء ثلاثة صناديق صبر من أصل ستة على الأرض. وتعليقا على هذه الحادثة تقول أم وليد: "حتى المبلغ الزهيد الذي نسعى لتحصيله من "كواز الصبر" يبرد جنود الاحتلال حرماننا منه".

وفي مشهد آخر متقارب من حادثة أم وليد، تذكر المواطنة سمية أبو خليل التي تباع العنب أنه وبسبب تأخير حاجز إسرائيلي للسيارة التي كانت تقلها من بيت دقو إلى رام الله لعدة ساعات تضرر العنب حتى أصبح لونه محمرا كثيرا، الأمر الذي قلل من سعره، وزاد من فترة تسويقه.

البيادر

ومضات الحياة

ترجمات

كرمل العباسي

صيفٌ مختلفٌ لمدينةٍ مختلفة، أذكر قول شاعرنا الكبير محمود درويش: "على هذه الأرض ما يستحق الحياة"، نعم.

أرضٌ تلدُ الحانَ الحب لتغسل زهرها الأبيض وتضعه على خصلات شعر ابنتها الخشبي، هذه الأرض التي تترجم الحياة إلى لغات عدة وترسمها نوات تمر من الجاز إلى الميجانا وتستقر بين دفتي مونا مورا، هذه الأرض التي أنتجت بين دفتيها شعرا يرفرف حبا وحنينا وعشقا للحياة.

ترجمة (1)

القصف الليلي عاد، ولكن هذه المرة لم تعد الكهرباء، فقد قصف جيش الاحتلال محطة الكهرباء المركزية، في القطاع وأصبحت مدينتنا بلا كهرباء وبلا نور أو برد أو تلح صناعي تعودنا وضعه عند شربنا عصير العنب في المساء.

الحنين زغب ينبث في ذاكرتنا ليقطع ضجرتنا من الظلمة، عدنا لنزور أصدقاءنا نتجمع حول شموع ترقص فرحا لأنها ما زالت تصلح للاستخدام في عام 2006، الكبار يتذكرون سمرًا كانوا يقضونه تحت شجرة قبل أن يتقنوا لعبة التلفاز والكمبيوتر، يحدوثونا عن أغانيهم وقصص حبهيم في أمسيات راعفة مضت منذ زمن....

لم نعد نستطيع التواصل على الجوال أنا وصديقي مثل السابق، لذا فضلنا أن نلتقي كل يوم تحت شجرة تلبس ليمونا أخضر لنغزل قصصنا اليومية قبل غروب الشمس، كم اكتشفنا لوث الموجات الصوتية التي كانت تسيطر على رنين أصواتنا عندما أصبحنا نلتقي....

عاد الأطفال إلى ألعاب نوسها ومنهم من لا يعرفها، عادوا إلى "الغميضة" و"نط الحبل" و"الشطرنج" بعدما فقدوا شاحن البلاي ستيشن (Play station) الخاصة بهم وفقدوا كهرباء تلفازهم....

ترجمة (2)

لم تعدت شوارع مدينتنا على تكوم مخلفات الإحباط واليأس في جميع شوارع المدينة، أينما تذهب تجد أكوام القمامة بأشكالها المختلفة "كارثة بيئية" محتمة على مساحة جغرافية صغيرة وكثافة سكانية عالية، الإضراب عن العمل من موظفي البلدية، بعد أن أصبح الصبر يتحول إلى نمل أبيض يأكل بيوت الموظفين وأطفالهم، فكان لا بد من وقفة لهم....

اليوم هو يوم الشباب العالمي، عادةً ما أمدعي إلى احتفال أو مهرجان أو مؤتمر للاحتفال بشباب الوطن، ولكنني اليوم لبست بنطالي الجينز وقبعة واقية من الشمس وذهبت مع بقية شباب مدينتي الصغيرة لاحتفال بدورنا في هذا العام بتنظيف الشوارع وطلاء جدران مستشفى الشفاء وتنظيف ساحته وهو أكبر مستشفى في قطاع غزة.

ترجمة (3)

لم يكن انتقالي إلى عملي الجديد كانتقال الحكومة الجديدة بعد انتخابات المجلس التشريعي الأخيرة، فانا قد تأقلمت مع مكتبي الجديد وأقلامي وفلسفة المكان دون مطبات هوائية تحدث عادة عند شعور الإنسان بالتغيير، ولكننا بعد الحكومة الجديدة لم نشعر إلا بمطبات هوائية، ونتنظر قرار الطيار بالهبوط بفارغ الصبر..

ترجمة (4)

لأننا لا نستطيع أن نضمن الكهرباء لمدة طويلة قررنا أنا وأختي وأمي قراءة رواية "سيفرة دافنشي" بدلا من مشاهدة الفيلم، ولأن النهار في الصيف طويل جدا والعمل في الوزارات قليل جدا استطاعت أُمي أن تنتهي بملخص عن تفسيرات للأولبياد بصورة اللوناليزا، وقررت أن تعيد التأمل بجميع الظواهر والتفاصيل الصغيرة التي تمر بنا وأهمها ما افتقدناه من الإحساس بالجمال من حولنا، وبذلك أصبح التأمل يشغلنا عن أكوام الطعام الذي يفسد في الثلاجة وأكوام الغسيل التي لا تنتهي.

ترجمة (5)

الحرب السادسة، اسم جعل جميع أصدقائي ومن في جيلي يستفسرون عن الحروب الخمس السابقة التي نسي كتاب التاريخ الذي درسناه أن يضمنها بين دفتيه، أو أنها أسقطت سهوا في الطبعة!!

ترجمة جديدة للنضال، أثبتت هذه الحرب جيلنا معنى جديدا للنضال، نضال مرتبط بحضارة ومرتب بتوحد الصفوف الداخلية رغم اختلافاتها الشاسعة، فالحرب والحب يتعانقان ليضعنا لبنان على ميزان الحياة!!

ترجمة (6)

رائحة الريحان والحناء تخرج من أفواه طلبة الجامعات بعد القرارات المحجفة بحق جيوب الأهالي الفارغة!!

هي أفواه مكمومة لا تتحرك إلا للأكل، أما الآن بعدما ازدادت نسبة الهواء عن احتمال البالون انفجرت بكلمات وهتافات وإضراب عن الدراسة، عل إحدى أهم جامعاتنا تذكر أننا في قطاع غزة ولسنا من طلاب الشاذليزيه في باريس!!

ترجمة (7)

لا تولد الثورات عند الظلم وإنما عند الشعور بالظلم، وأهل غزتنا الصغيرة لا يشعرون بالظلم إلا عندما تطغى عظام أبنائهم!!

فلا يكفي قتل الورد و لا يكفي اختطاف الندى من حضن أمه، وها نحن الآن ننتظر ترجمة موسم رمضان، فهل من صفحات بيضاء نكتب عليها؟

إعلان لرفع العتب

همسة التايه

عملتُ جاهدة منذ أكثر من أربع سنوات ولغاية الآن على تأمين وظيفة تستطيع من خلالها تطوير نفسها والأرتقاء بقدراتها وبناء ذاتها، لكن دون جدوى، فبعد أن تخرجت وُعدت بالعمل في مؤسسة حكومية، ولأجل ذلك تدرت لفترة طويلة على أمل أن يتم توظيفها واستيعابها، وعملت بروح الخريج المقبل على العمل بنشاط ودفعة قوية للحياة، لكن محاولاتها باءت بالفشل لسبب واحد قد لا يخفى على أحد، مفاده أن المحسوبة لم تكن في قاموس حياتها ولم تعرف إليها سيلا.

كثيرا ما كانت تصطدم - أثناء تقديمها لطلبات التوظيف في المؤسسات الحكومية والشركات الخاصة كافة - بان الوظيفة مُنحت سلفا لفلان من الناس على أساس صلة الحسب والنسب لا على أساس الكفاءة والقدرة على العمل، وأن الإعلان الوظيفي الذي أخذ زاوية ذات مساحة مهمة في الصحيفة اليومية، والذي دُفع عليه مبلغ من المال من أجل إدراجه لتقع الأعين عليه، ما هو إلا إعلان لرفع العتب.

طفح عندها الكليل قبل عدة أيام، بعدما حصل معها موقف تاكدت من خلاله وبشكل قاطع عدم وجود نزاهة وموضوعية في السياسة التوظيفية القائمة في مؤسساتنا، كون العدالة مفقودة، فبعد أن طمانتها صديقتها بوجود مشروع عمل مؤقت لمدة ثلاثة شهور قد يكون بداية لفتح آفاق جديدة لوظيفة أخرى، صُدمت بعد يوم واحد باتصال اعتذرت فيه الصديقة عن عدم النظر في الطلب الوظيفي، لأن شخصية معروفة ومقربة من القائمين على المشروع حازت على الوظيفة المؤقتة بجدارة كونها من عائلة مرموقة.

وأكدت - بعدما انهزم نشاطها - أنها وإفناء تقديمها لأوراقها وشهادتها لوظيفة تم الإعلان عنها في الصحف، وكان الوصف الوظيفي في مجال تخصصها والمؤهلات المطلوبة تناسبها، فوجئت بالوظائف التي استلم منها الأوراق ويقول بلغة الواثق: "انه يتوجب عليك قبل الجيء إلى هنا أن تأتي بالواسطة، لأن الوظيفة سلمت لغيرك أثناء تقديم الطلبات".

قد يكون القدر كتب لها أن تبقى عاطلة عن العمل، لكن هذا أبدا لم يقلل من عزيمتها في تحدى الجميع للوصول إلى هدفها للنشود، لتزيني إصرارا على الكتابة عن نقطة في بحر من المعاناة التي يعيشها أبنائنا الخريجون، ولأكتشف النقاب عن الواقع المرير الذي يقتل فينا شخصيتنا ويهدم تطلعناتنا بحد مشرق.

وهناك عدة أسئلة تطرح نفسها وهي حقا بحاجة إلى إجابات شافية لماذا يقتل الأبداع في أبنائنا الخريجين

صدر حديثا

راقية ابو غوش

قطاع غزة بعد الانسحاب: دراسة تقييمية للواقع ورؤية مستقبلية، رام الله: جامعة بيرزيت / برنامج دراسات التنمية، 2006

لم يحظ المجتمع الفلسطيني، ولعمقود طويلة، بذلك النصيب الوافر من الدراسات السوسولوجية، التي تحاول التركيز على بنيته وجدليتها، فأكثر الدراسات جاءت وبحكم الصراع مع إسرائيل، ذات مقاربات سياسية وقانونية وتاريخية. ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة بان تسهم في سد ثغرة معرفية حول سوسولوجية المجتمع الفلسطيني، ابتداء من دراسة تخصص لقطاع غزة. على أن التناغم الدراماتيكي للأحداث السياسية، خاصة في ظل الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة، ألقي بظلاله أثناء إعداد موضوعات الدراسة وفصولها، وجاءت لتحلل العديد من جوانب المجتمع الغزي وواقعه السياسي والاقتصادي والاجتماعي، لاستشراف بعض ملامح مستقبله ما بعد الانسحاب. تتكون الدراسة من سبعة فصول تتكامل باختلاف موضوعاتها لتقدم وصفا مكثفا للواقع في قطاع غزة، مع محاولة لاستشراف وتقديم بعض التوصيات المستقبلية. وينظرة عميقة لما احتوته فصول الدراسة، يمكن تصنيفها على النحو التالي:

الجزء الأول من الدراسة، ويضم الفصلين الأول والثاني، والجامع

بينهما ذلك الجهد النظري المقدم فيها لاستعراض أهم النظريات والمقاربات النظرية السوسولوجية في الفصل الأول، والتنمية في الفصل الثاني. وعموما، فإن الفصل الأول يقدم نبذة تاريخية حول قطاع غزة، وأهم التحولات في المشهد الغزي، وخاصة في السنوات التي تلت نشوء السلطة الفلسطينية، ومن ثم يرجع على أهم ملامح الجدل النظري حول مفاهيم الدولة والمجتمع في السياق الفلسطيني، التي اتسمت بقدر كبير من التسييس والانفعالية، عارضا أهم الإسهامات السوسولوجية في هذا المجال، فضلا عن تلك النظريات الاجتماعية العامة. أما الفصل الثاني، فيعرض بالنقد والتحليل سيرورة التنمية في فلسطين، في إطار العلاقات الجدلية بين السابقين الوطني والعالي خطابا وممارسة، ليخلص ومن خلال تحليل النظريات التنموية، إلى أزمة الخطاب التنموي الفلسطيني، وتجلياته العملية، والتي يمكن إيجازها بان التنمية الفلسطينية تتسم بدرجة من النخبوية، والتبعية شبه الكاملة للممول، وخروجها شبه الكامل عن ضرورات المجتمع الفلسطيني وأولوياته السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية.

الجزء الثاني من الدراسة، ويضم أربعة فصول، يغطي كل منها أحد العناصر-الفاعلات المجتمعية والسياسية والاقتصادية في القطاع، وهي السلطة الفلسطينية، والتنظيمات السياسية، والمنظمات الأهلية، والقطاع الخاص. إذ يحاول كل فصل استجلاء الدور الذي اضطلعت به الكوونات المذكورة في تشكيل رؤية لسلطة دولية، تحقق ثنائية استكمال الاستقلال الوطني، وتنمية اقتصادية مستدامة. ولا تقف الفصول عند الكشف عن الرؤى التي حملتها كل من السلطة والتنظيمات السياسية والأهلية والقطاع الخاص، بل يتم تحليل الأدوار العملية التي أسهم كل منها فيها منذ نشوء السلطة، حتى الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة، الذي تتفق فصول الدراسة على أنه بداية لمرحلة جديدة، تحمل في ثناياها عناصر متناقضة من النجاح والفشل المستقبلي، فيتمثل النجاح في إرساء أسس لسلطة ومجتمع يستطيعان معا استثمار الانسحاب لتجسيد عناصر السيادة للمشروع الوطني الفلسطيني، بدءا من قطاع غزة، واستكمال النضال لتحقيق ذلك في باقي أرجاء الوطن. أما الفشل، فيتمثله إخفاق الفلسطينيين بمؤسساتهم المتنوعة في إرساء حالة السيادة والتنمية في القطاع، أو الاكتفاء بالانسحاب الإسرائيلي من القطاع، وتعميق المظاهر الاحتلالية في الضفة الغربية، دون أن يستطيع الفلسطينيون نظرا لعوامل خارجية وداخلية استكمال مشروعاتهم بالاستقلال وبناء الدولة في كافة أجزاء أراضيهم المحتلة منذ 1967.

الجزء الأخير من الدراسة، ويأتي على شكل فصل أخير، يحمل عنوان نظرة تحليلية استشرافية للمشهد الفلسطيني. إذ يسعى هذا الفصل، إلى تحليل المشهد الفلسطيني بأبعاده التاريخية والبيئية ضمن الجدلية العالمية-المحلية، وتجسدها وتأثيراتها على التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية لا سيما في قطاع غزة، ومن ثم الانتقال إلى طرح بعض الأفكار الأولية



هل المصلحة العامة تقتضي أن تدار أمور التوظيف على أساس الواسطة والمحسوبة؟ وإلى أين تسير بنا سياسة التوظيف الخاطئة؟ هل أصبح يتوجب علينا ان نبحت عن الظهر الذي يسندنا قبل التفكير في البحث عن الوظيفة؟ ومتى سيتم فعلا اعتماد سياسة توظيف تقوم على العدالة؟ لم تكن هذه المشكلة بالوحيدة ولا بالفريدة من نوعها لكنها مشكلة آلاف الخريجين الجدد والعاطلين عن العمل والذين يقعون ضحية لسياسة التوظيف الخاطئة، والتي لا تخفى على أحد كونها لا تقوم على العدالة وتكافؤ الفرص بل على العوامل الشخصية والعلاقات الحزبية متجاهلين بذلك مصلحة الوطن الذي ننادي دائما بأحداث تغيير جذري على المستويات كافة للاستفادة من أخطاءنا من أجل النهوض بالبلد الذي يقبع تحت نير الاحتلال الاسرائيلي.

لحل المشاكل التي تواجه قطاع غزة. ومن أهم هذه الأفكار الاستراتيجية، التي يمكن أن تشكل عاملاً لدفع عجلة التنمية في القطاع، والتحرر من أزمانه المتناعبة، إقامة جرز قبالة ساحل غزة، وتعميق العلاقات مع مصر لإقامة مشاريع كبرى كمدينة مشتركة في صحراء سيناء.

جميل هلال

التنظيمات والأحزاب السياسية الفلسطينية: بين مهام الديمقراطية والداخلية والديمقراطية السياسية والتحرر الوطني. رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية (مواطن)، 2006

شكلت الأحزاب السياسية منذ ظهور النظم الديمقراطية الليبرالية في القرن التاسع عشر الأدوات الأهم والأكثر تأثيرا في الحياة السياسية العامة في الدولة الحديثة. وتولت مع الاتحادات الجماهيرية والنقابات العمالية المهنية والحركات الاجتماعية توجيه عمليات التغيير السياسي والاجتماعي. ويمكن القول، على الصعيد السياسي، إن الحزب السياسي والدولة الحديثة (القومية) ترافقا وميزا العصر الحديث عن العصور السابقة. كما تبوأ الحزب السياسي الموقع الرئيس والوحيد في ممارسة السلطة وإدارة المجتمع في النظم الاشتراكية، كما طبقت في الاتحاد السوفياتي وبلدان أوروبا الشرقية وأماكن أخرى. وفي الواقع لا تغيب الأحزاب السياسية سوى عن نوعين من الدول؛ هما الدول التي تحكمها وتتوارثها عائلات كما هو الحال في معظم دول الخليج، والدول التي تمنع فيها الأحزاب من قبل أنظمة عسكرية أو أنظمة تسلطية أو شمولية، وتدفعها بالتالي إلى العمل السري.

وعلى الرغم من التساؤلات التي باتت تطرح في العقدين الأخيرين حول تراجع دور الأحزاب التمثيلي والتعبوي قياسا بمراحل سابقة، وعلى الرغم، كذلك، من تدمير وخيبة أمل أعداد متزايدة من المواطنين في العديد من الديمقراطيات

الليبرالية من دور الأحزاب الراهن، فإنها حافظت على كونها الأداة الأبرز لتمثيل السياسي، والأقدر على التنافس الديمقراطي في الانتخابات التشريعية والرئاسية والمحلية. فالنظم السياسية الديمقراطية تقوم على التنافس بين الأحزاب لتشكيل الحكومة، ويسري هذا على البرلمانات أو المجالس التشريعية، كما يسري على المجالس والهيئات المحلية. المحتويات:

الجزء الأول: منظور نظري عام

الجزء الثاني: الأحزاب العربية والمسألة الديمقراطية

الجزء الثالث: الحركات والأحزاب السياسية الفلسطينية وإشكالية الديمقراطية السياسية

الجزء الرابع: بعض السمات العامة للنظام الحزبي الفلسطيني الراهن.

محمد البابا

تنمية الإدراك المدني: طريقة لتعزيز التربية المدنية في فلسطين.

رام الله: مركز إبداع العلم، 2006

هدف هذه الدراسة جمع معلومات عن النظريات السائدة المتعلقة بالتربية المدنية وكيفية تطبيقها حول العالم. بالإضافة إلى هذا، كان الهدف فحص إدارة برامج التربية المدنية في المدارس الفلسطينية للتمكن من فهم نقاط الضعف والقوة في هذه البرامج، لتكوين وسائل وموارد واستراتيجيات مناسبة للتطوير والتدريب الجاري للمعلمين والعلماء وحسر الفجوات التي يتم تحديدها.

تمثل التربية المدنية الألية أو التقنية التي يتم من خلالها تحويل العادات والمعارف والقيم والتوجهات- التي يتم السعي لتحقيقها لصالح العام- إلى ممارسة يومية لتصبح جزءا من التقاليد العامة على مستويي المواطن والدولة.

تعتبر التربية المدنية مسلكا تربيوتا يتزود المواطن من خلاله بالمعارف والقيم التي يحتاجونها لممارسة دوره "مواطنًا وإنسانًا". وبهذا تغدو عملية تنمية وتربوية للفرد ليكون مواطنا فاعلا في مجتمعه، قادرا على حماية حقه في العقد الذي أبرمه مع الآخرين ومع الدولة، فهي- أي التربية المدنية- تدفع المواطن ليشعر أنه يشكل جزءا من المسؤولية العامة تجاه مجتمعه وإنسانيته، ما يجعلها في نهاية الأمر "عملية تهيئ للسلوك الفردي".

على المستوى الفلسطيني، جرت حالة من الجدل فيما يرتبط بمفهوم التربية المدنية مع قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية واستلامها زمام الأمور على جميع المستويات، وارتفعت أصوات منادية بضرورة وجود منهج أو مادة للتربية المدنية، وهذا الطرح أثار بدوره موجة من التساؤلات حول أهمية الموضوع، والآخر يقلل من أهميته... وانبرت العديد من الكتابات والمقالات والدراسات وورش العمل إلى تداول القضية سعيا منها لتفكيك هذا المفهوم، ووضعها في سياقها الطبيعي والموضوعي.

العطش ظاهرة سنوية في بلدات جنوب الخليل؟



عبوات المياه .. هل هي الحل؟

ثمن الكوب 20 شيقلًا

تعاني محافظة الخليل لا سيما البلدات الجنوبية من أزمة مياه خانقة، تزيد حياة المواطن صعوبة ومشقة في البحث عن عماد الحياة والبقاء، حيث يعتمد سكان تلك المناطق على تخزين مياه الشتاء في آبار تحفر بالقرب من منازلهم، ولشح الأمطار في العام الماضي فإن ظاهرة العطش بدأت تظهر بشكل كبير منذ بداية الصيف، مع العلم أن تلك المناطق تفتقر لشبكات المياه.

ثمن الكوب 20 شيقلًا

الحاج أبو علي من بلدة الرماضين يشكو من مشكلة المياه في البلدة ويقول: "شو صار بالدنيا 10 متر ميه بـ 200 شيكل من وين أنجيب في هذا الظرف السيئ؟" وأضاف أنه باع قطع الغنم الذي كان يمتلكه ليقبل كمية استهلاك الماء، مشيراً إلى أن الصهريج لا يكفي عائلته المكونة من 7 أفراد إلا 13 يوماً، وأن قوات الاحتلال قامت بتدمير عدد من آبار جمع مياه الأمطار المحيطة بالقرية بحجة عدم الترخيص لقربها من الحدود، إضافة إلى إقامة الحواجز الترابية لمنع وصول صهاريج المياه إليهم، ما يدفعهم إلى إيصال الماء بواسطة صهريج آخر أو بواسطة الحيوانات.

وما زاد الأمر صعوبة كما يقول أبو علي هو أن الصليب الأحمر وبعض المؤسسات الدولية أوقفت برنامج توفير الجزء الأكبر من ثمن المياه الذي كان يطبق في السنوات الماضية. وهذا ما ينطبق على بلدات دورا، والسموع، ويطا، والظاهرية والقرى التابعة لها.

لا وسيلة للمساعدة

وليد أبو شرار رئيس مجلس الخدمات المشترك لريف دورا يقول: تعرضنا إلى احتجاجات واسعة من المواطنين لتخفيض أسعار المياه، إلا أننا لا نملك أي وسيلة للمساعدة، خاصة في ظل الظروف الاقتصادية والسياسية الصعبة التي تمر بها المنطقة، موضحاً أن عشرة أكواب ماء- سعة الصهريج- تشتري من شركة

في استطلاع أجراه برنامج دراسات التنمية:

٧١٪ من المواطنين يعبرون عن تدهور وضعهم المعيشي

عماد الصيرفي

أظهر استطلاع أجراه مؤخرا برنامج دراسات التنمية التابع لجامعة بيرزيت نتائج سلبية في مجمل الوضع الفلسطيني في الضفة وغزة، وبخاصة بعد الانتخابات التشريعية التي جرت أواخر كانون الثاني الماضي.

فقد عبر ٧١٪ من المستطلعين عن تدهور وضعهم المعيشي، وبلغت نسبة من لديهم القدرة على تأمين حاجاتهم المعيشية الأساسية لفترة ثلاثة أشهر قادمة ١٦٪ فقط. وبينت النتائج أن ٦٢٪ من المستطلعين لا يشعرون بأن المجتمع الفلسطيني يسير بالاتجاه الصحيح، وعبر ٤٤٪ من الشباب عن تفكيرهم بالهجرة.

أما عن دور الأحزاب السياسية والمجلس التشريعي والحكومة فرأى ٥٥٪ من المستطلعين أنه سلبي، ووجه ٤٤٪ نقدهم لحماس إزاء الأزمة الحالية، فيما وجه ٤٠٪ نقدهم لحركة فتح للسبب ذاته، في حين وجهت أغلبية ساحقة ٩٥٪ انتقادها لكل من إسرائيل والولايات المتحدة إزاء الأزمة الحالية، و٦٨٪ وجهوا انتقادهم للأمم المتحدة.

كما أظهرت نتائج الاستطلاع أن ٦٠٪ من المستطلعين قيموا مدى تطبيق حكومة حماس لبرنامجها الانتخابي بالضعيف، وعبر ٥٧٪ منهم عن عدم قدرتهم على شرح برنامج حماس الانتخابي.

حكومة حماس والرؤية التنموية

عماد موسى

إن انشغال حماس في توطيد أقدامها في السلطة الوهمية الخالية من كل مظاهر السيادة كشكل من أشكال الهروب إلى الوراء، مع اشتداد الحصار وتجريم المقاومة بميسم الإرهاب الدولي، هو الذي دفعها لتكرار أخطاء فتح في مجال التعيينات في الوظيفة العمومية وفي الأجهزة الأمنية، في الوقت الذي لم تدفع فيه هذه الحكومة رواتب الموظفين العاملين في مؤسسات السلطة، ولم تتمكن فيه من تأمين مستحقات الموظفين المتقاعدين أو الذين هم على قوائم التقاعد، على اعتبار أنها لا تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية، وحكما لا تعترف بحقوق هؤلاء المتقاعدين، لأن حماس تعتقد أن حركة التاريخ في العملية السياسية والتشريعية قد بدأت مع نجاحها في الانتخابات واعتلائها سدة الحكم.

وعود على بدء، نتساءل هنا: لماذا لم تشارك حماس في السلطة وفي الوظيفة العمومية عام 1996، وحرمت المشاركة في الانتخابات وفي مؤسسات السلطة، بل على العكس تماما كانت تعلي من شأن العمليات التفجيرية داخل الخط الأخضر، فتقوم إسرائيل بتدمير مؤسسات السلطة ردا على ذلك، ولم تلتزم بقرارات الحكومات السابقة، وها هي اليوم تنتخب على أساس "أوسلو" وتخضع للمعايير الدولية ذاتها، وتحفظ بسلاحها وتنشئ قوة أمنية، وتلتزم بالتهنئة التزاما غير مسبق، فأين مشروع المقاومة والجهاد؟

وها هي حكومة حماس تعاني مع الشعب الفلسطيني من حصار اقتصادي وعزلة سياسية دولية لإجبارها على التكيف مع الشروط الثلاثة (نبد الإرهاب، والاعتراف بإسرائيل، والاعتراف بالاتفاقات الموقعة). لكن حماس تصر على موقفها متخذة القرار بالبقاء في الحكم مدة أربع سنوات الفترة التشريعية القانونية، غير آبهة بمصير الشعب الفلسطيني وما ستؤول إليه الأمور، فكيف تعالج حكومة حماس الحصار والتجويع؟

من الواضح أن هموم السلطة أكبر من هموم الناس، لذلك، لم تتبن حكومة حماس رؤية تنموية حتى في ظل الحصار والتجويع، وانتهجت ثقافة الصبر والجوع لا الركوع، والجهل الناجم عن الإضراب في المؤسسة التعليمية بدلا من التعليم والعلم، والسلة الغذائية بدلا من العمل والتشغيل وإيجاد فرص عمل ضمن برنامج تنموي، فلم تناقش حكومة حماس برنامجا تنمويا واحدا، اقتصاديا أو اجتماعيا أو ثقافيا أو تعليميا، فلم نجدتها تضع على أجندتها أولويات معينة (الصمود من أجل التنمية أم الصمود من أجل البقاء في الحكومة؟) تحت تسويق نظرية المؤامرة، ولم نجدتها تناقش (التنمية من أجل الصمود أم من أجل الصمود؟) من كل النواحي، والتراجع في شتى المجالات.

كان من المجدي أن تناقش حكومة حماس ثقافة الجهاد وثقافة الرباط، وأن تتوسع في ثقافة الرباط، لأن الفلسطينيين مرابطون في أرض الرباط، والرباط غير الجهاد وأجره مثل أجر الجهاد، فالرباط يعني الصمود، والصمود يعني البحث عن مقومات للصمود، وليس استبدالها بعناصر معنوية سرعان ما تتلاشى، فحزب الله انتقل خلال 24 ساعة من ممارسته لثقافة الجهاد ليشعر في تنفيذ ثقافة الرباط، ولم يستخدم خطابا معنويا للإعمار والبناء والتشييد للقرى والمدن التي طالها القصف التدميري الإسرائيلي، بل على العكس من ذلك، شرع في تضييد الجراح وفي إعادة النازحين إلى ديارهم، وتوفير لقمة العيش لهم في إطار ثقافة الرابطة، لأن الرباط فعلا يحمل صفة الاستمرارية (واصبروا وصابروا ورباطو)، ولكن الجهاد يحمل فعلا موقتا ويحتاج إلى عوامل لممارسته، من الإعداد الجيد وامتلاك المعرفة وكل أشكال القوة والمنعة... قال تعالى: (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل).

والغريب في الأمر عندما يتحرك الموظفون للاحتجاج توجه إليهم أصابع الاتهام بالخيانة واللاوطنية... في الوقت الذي أضرب فيه المعلمون مرتين في عهد الحكومات السابقة للمطالبة بزيادة رواتبهم. إن ترحيل النضال المطالب إلى الاحتلال غير صحيح طالما نتحدث عن حكومة، وعن انتخابات في ظل الحراب الإسرائيلية. فمن يقبل مبدأ المشاركة تحت سقف "أوسلو" وتحت الحراب الإسرائيلية، ويقبل أن يكون في السلطات الثلاث يتوجب عليه أن يتحمل المسؤولية الكاملة عن الشعب الفلسطيني، وليس تحمل مسؤولية جزئية على أسس حزبية وفئوية ضيقة. فالديمقراطية ليست وصفة انتخابية فحسب، بل عائلة متكاملة منها حق التعبير والإضراب... الخ.

من هنا فإن حماس مطالبة بتحسس الوجود الفلسطيني وهموم الناس لأنها في السلطة وتقع المسؤولية كاملة على كاهلها، فإن لم تستطع فعلها البحث في خيارات أخرى. ونعتقد أن الخيارات باتت على مقربة منها، فعليها الخروج مع سائر الفصائل من الشرفقات الحزبية والفئوية لإعلاء مصالح شعبهم، وعلى كافة القوى أن تضع برنامجا تنمويا شاملا للخروج من الأزمة الراهنة، بحيث يعاد النظر في أولويات عمل الحكومة والفصائل في ظل الحصار والتجويع.

"ميكوروت" الإسرائيلية بـ 27 شيقلًا، إلا أن تكاليف الوقود وصيانة الصهاريج وأجرة السائقين هي ما تساهم في رفع أثمان المياه، مشيرا إلى أن جنوب المحافظة يعاني من أزمة مائية قد تدفع البعض للترحال بحثا عنه، حيث إن أغلب الينابيع الموجودة في المنطقة التي كان يعتمد عليها جفت وتوقفت الكثير من الزراعة، خاصة في بعض الدفنيات لعدم توفر المياه، ويؤكد أنه توجه إلى المؤسسات الدولية لدعم المواطنين أو المساهمة في دفع أثمان المياه إلا أن تلك المؤسسات اعتذرت لقيامها بدعهم مشاريع كبيرة تخدم المنطقة ككل.

فيما أفادت مصادر من بلديتي السموع والظاهرية أن المناطق التي تصل إليها المياه عبر الشبكات تخضع لرحمة شركة "ميكوروت" الإسرائيلية، وأن نسبة ضخ المياه لا تغطي حاجة 12% من سكان تلك المناطق، إضافة إلى استمرار التوقف عن الضخ بحجة أن المضخات تعطلت ولا يحق لتلك البلديات إجراء الصيانة إلا بموافقتها، كما أن هناك عراقيل تمارس من قبل الاحتلال لمنع تنفيذ مشاريع جديدة لمد شبكات مياه أو حفر آبار ارتوازية جديدة أو إصلاح الآبار القديمة، مع العلم أن معظم المناطق التي تعاني من نقص المياه تقع تحت السيطرة الإسرائيلية أو ما يعرف بمناطق ((C).

مياه ملوثة

اللجوء إلى الينابيع التي ما زالت تقطر بالماء لم يحل مشكلة السكان المحيطين بها من حيث توفير كمية المياه المناسبة، بل ساهم في تفاقم مشكلة جديدة هي انتشار الأمراض خاصة بين الأطفال نتيجة لتلوث تلك الينابيع بسبب قربها من حفر الامتصاص والمياه العادمة، ما زاد من نفقات العائلات التي تشكو في الأصل من ارتفاع أثمان المياه وفقدانها.

يشار إلى أن سلطة المياه الفلسطينية أعلنت عن مشروع لتزويد المناطق الجنوبية من المحافظة بالمياه وبكميات كبيرة، بواسطة خط مياه قادم من بلدة حلحول عبر المدينة وصولا إلى تلك البلدات الواقعة في الجنوب، لكنه لم يُنفذ بعد.

وبالنسبة لإضراب العاملين في القطاع العام أكد ٥٧٪ من المستطلعين تأييدهم له، وعبر ٥٤٪ عن تقييدهم السلبي لأداء الحكومة إزاء الإضراب، و٥٥٪ عبروا عن ضرورة اختيار أعضاء الحكومة الجديدة من خارج المجلس التشريعي. وبينت النتائج معارضة ٦٦٪ من المستطلعين بقاء المجلس التشريعي والحكومة على حالهما الراهن، وعبر ٦٠٪ عن دعمهم لحل المجلس التشريعي، وإجراء انتخابات جديدة، و٦٦٪ عبروا عن دعمهم لحل الحكومة الحالية، وتشكيل حكومة وحدة وطنية بقيادة حماس.

وأكد ٦٢٪ من المستطلعين دعمهم للرئيس في اختيار رئيس وزراء مستقل، وعبر ٥٥٪ عن دعمهم له في حال تشكيله حكومة من المستقلين، فيما انخفض تقييم أداء الرئيس بمقدار ٢٠ نقطة، أما رئيس الوزراء فانخفض تقييمه بمقدار ٢٥ نقطة. وأظهر الاستطلاع بيانات في شعبية حركة فتح عند نسبة ٤٢٪، وانخفاض الدعم لحركة حماس إلى ٢٧٪، وكذلك عبر ٥٢٪ عن دعمهم لاعتراف حركة حماس بالاتفاقات الموقعة بين منظمة التحرير وإسرائيل، وأكد ٦٢٪ من المستطلعين معارضتهم لفكرة اعتراف حماس بإسرائيل في الوقت الحالي، ورأى ٦٩٪ من المستطلعين أن أداء حزب الله أفضل من أداء حركة حماس.

يُذكر أن الاستطلاع أجري في الفترة من ١٤-٢٠/٩/٢٠٠٦، على عينة عشوائية ممثلة مكونة من ١٣٠٠ فلسطيني في الضفة وغزة، وذلك بإشراف باحثين فلسطينيين مستقلين، وبلغت نسبة الخطأ ٢٪ في الاتجاهين.

مُخترع ومبتكر إلكترونيات يعمل في المفروشات!

عبد الباسط خلف:

لم يبتسم الحظ لفتحي المصلح (36 عاماً) من بلدة ميثلون بجنين كي يواصل دراسته العليا، فراح يعتاش من العمل في المفروشات، لكنه بقي منحازاً للأبحاث التطبيقية في الفيزياء، وأصبح ينفق كل ماله وما يسمح به وقته على متابعاته الدراسية والتطبيقية وتنفيذ التجارب، ويبدل في كل يوم المزيد من الجهد لإنتاج نماذج إلكترونية متطورة، متسائلاً على الدوام: ما الذي يمنعنا من استخدام عقولنا والكف عن تبيذير وقتنا ومالنا؟ فكل شيء متوفر لدينا ولا ينقصنا سوى استخدام عقولنا، ولماذا كل هذا الانفتاح على الاستهلاك؟ وهل نحن أقل شأنًا من أولئك المنتجين في الدول الصناعية؟

الطريق إلى دنيا الابتكارات

بدأت قصة المصلح تتبلور خلال دراسته الابتدائية والمتوسطة، وكان يطبق كل النظريات ذات الصلة بالإلكترونيات والكهربائيات، وعلى عتبات الثامنة عشرة فكر في تأسيس منشأة متواضعة لصيانة الأجهزة الإلكترونية البسيطة، وراح يتعرف على أسرار عالم صغير غير مرئي، ولا يتعدى في بعض الأحيان حجم "ترانسستور" أو "مقاومات صغيرة".

بعد الثانوية العامة التحق بمعهد البوليتكنك في الخليل لدراسة ما يشغل باله، لكن الظروف لم تسعفه على إكمال حلمه.

انتقل إلى جامعة النجاح، وشرع في دراسة الفيزياء، لا لسبب سوى أنه يرغب في تنمية معرفته في دنيا الإلكترونيات، الأمر الذي لا يتحقق إلا من خلال دراسة فرعية ترتبط بعالم الحركة وقيمتها، وراح يوزع مجهوده العلمي على الدراسة والبحث وإجراء المزيد من التجارب.

يقول: صممت خلال الدراسة جهاز تحكم في مضخات المياه، ومجسات في حقل المياه للرقابة والتحكم في تشغيل تدفق المياه للمؤسسات والمصانع الكبيرة، ونفذت نموذجين أحدهما بنظام تحليلي رقمي، وطلبت من دوائر الجامعة المتخصصة تسجيل ذلك في وزارة الصناعة للحصول على براءة اختراع، لكن دون جدوى. ويعلق: إذا لم يعمل المبدع في أي شيء بعيد عن تخصصه وحلمه، فسيموت جوعاً!

إنجازات

استطاع المصلح صناعة محطة بث تلفزيوني صغيرة ذاتياً، وقدم فترة تجريبية عليها في بلدته ليتأكد من نجاحها، وأجرى أبحاثاً خاصة على نظام شاشات البلور التي تدخل في صناعة شاشات للساعات والحاسبات وخلافها، وكان ينوي صناعة شاشة عملاقة في الجامعة غير أن الظروف لم تشجعه.

ويسرد تفاصيل أخرى عما ابتكره، كأنظمة الدعاية ذات الإضاءة الدوارة، وانشغل في تصميم لوحات توافيق وأنظمة تشغيل الحاسبات، كي يقوم بتفعيل أدوات أخرى لتسخير مجهودها في صناعات مختلفة.

ويبحر المصلح اليوم في فضاءات الشبكة الدولية للمعلومات، ويحاول التعرف على

المستجدات، وينمي معارفه باستمرار، ويحاول البحث عن حلول للتقنيات الجديدة، في الوقت نفسه الذي يستقطع الكثير من الوقت لتطوير أنظمة التحكم والسيطرة ضد الحرائق والسراقات من خلال الإنذار المبكر.

كما عالج أنظمة التشفير التي كانت المحفز له لسبر غور المجهول، من دون أن يروج لها أو يستخدمها لحصد أرباح مادية. وبإمكانات متواضعة، استطاع صناعة مخرطة ثلاثية الأبعاد، تتشكل من أدوات تحكم وشاشات وجه إلكترونية ومحركات، وقطع معدنية وحاسوب شخصي.

وبدأت هذه الأداة بمحاكاة الأدوات المستوردة، لتصنع أي مجسم من المعدن والخشب والحجر، وصار يوسعها لتشكيل مواد ثلاثية الأبعاد تصمم نظرياً على الحاسوب الشخصي، ويوسع هذه الأداة مثلاً "استنساخ" أو إنتاج "الماس" الخاصة بأجهزة الكمبيوتر وغيرها. كانت باكورة إنتاجه عينة جديدة ومطورة من الأطباق اللاقطة المستخدمة في تأمين موجات البث الفضائية. ويعكف اليوم على تطوير جهاز آخر سيكون بوسعه إنجاز مهمات مسح ثلاثية الأبعاد، ولديه القدرة على تقبل أي تصميم من الكمبيوتر، ومحاكاته وتشكيله.

استهل المصلح هذا العام بمشروع بناء نموذج يمكن من خلاله إنتاج عدادات التيار الكهربائي، بمواصفات رقمية، تتيح التعامل مع أنظمة الدفع المسبق.

ومن الممكن أن تتعامل هذه العدادات مع نظام (جي، إس، أم)، بحيث تربط بحاسوب البلدية أو الشركة، ويمكن قراءتها عن بعد، ويمكنها فصل التيار الكهربائي تلقائياً. ويستطيع المصلح اليوم استخدام الحاسوب في صناعة لوحات كهربائية مصنعة محلياً، وربطها عبر أنظمة كهربائية خارجية لتشغيل بعض الأجهزة.

ويؤكد المصلح بالاستناد إلى صور ووثائق: نفذت آلة للتعامل مع الألمنيوم بأشكال هندسية بالغة الدقة، ولصناعة أقواس وزوايا وأشكال مختلفة، تفوقت على نظام شركة ألمانية، وتجاوزت عيوبها في المواصفات والقياس.

أفكار وطموحات

ويضيف المصلح لقائمة مخططاته صناعة نموذج آلة التعامل مع الأرقام التجارية (الباركود) المستخدمة في محلات السوبر ماركت الكبيرة، التي تستطيع تحديد أسعار السلع وفق الأرقام التجارية الموجودة عليها.

كما فكر في ابتكار نماذج ضخمة، كالات غسل السيارات واستبدال المفتاح التقليدي اليدوي للغاسلات المنزلية بلوحات إلكترونية، وإطلاق مكيفات منزلية ومكتبية تعمل بالطاقة الشمسية.

وتدور في رأسه أفكار أخرى بدأ بوضع الخطوط العامة لها، كبناء محطة أرصاد جوية رقمية ترافق وتحلل وتخزن كل الظواهر الجوية، بجهود ذاتية، إضافة إلى تأسيس أنظمة خاصة للمزارع النباتية والحيوانية، تكون قادرة مثلاً على فتح الدفيئات الزراعية وإغلاقها وحمايتها من الصقيع والعوامل الجوية الأخرى بـ"كبسة زر".

ويقول: بوسعي وبعد أبحاث ودراسات إنشاء مصانع من الألف إلى الياء عبر أنظمة تحكم



فتحي المصلح

إلكترونية تتصل بنظام تحكم إلكتروني منتج محلياً.

ويضيف: بوسعي إنشاء وتنفيذ أنظمة لمخابر آلية كاملة، ومناجل قص حجارة البناء ومعالجتها، وذلك كله لا يحتاج إلا للمواد الخام والعناصر الأولية الإلكترونية، وبلغ الأرقام فإن تنفيذ أعمال كهذه ينتج منشآت بتكلفة لا تتعدى الثلاثين بالمئة من قيمة استيرادها، وبمواصفات مماثلة.

مختبر فوق المنزل

أفكار المصلح البحثية تكاد تأخذه بعيداً عن أسرته، فلا ينام غير ثلاث أو أربع ساعات، ولا يجد الوقت الكافي لمشاهدة طفلاته الثلاث، ويدرك أن مجارة التكنولوجيا تسبب له الكثير من المتاعب لكنها عذبة، كون دافعها غير مادي.

ويؤكد المصلح أنه يقرأ زهاء 400 صفحة أسبوعياً كثقافة علمية، عدا عن الأبحاث والدراسات، وأنه بدأ يجمع بإمكاناته الذاتية الكثير من المراجع التكنولوجية الأجنبية.

فوق سطح منزله، صمم غرفة لمختبر صغير لتجديد معارفه في حقول: الهيدروليك (علم السوائل المضغوطة)، والكهرباء، والهندسة الإلكترونية، والكمبيوتر، والاتصالات، وبناء اللوحات الرقمية، واللوحات التماثلية، والبرمجيات المنظورة، وبرمجيات الآلة، ويحاول تحفيز الجيل الجديد من المبدعين، منتقداً غياب أي مؤسسة ترعى الإبداع وتحاول إخراجها إلى النور وتطبيقه.

أمي يحفر على الخشب بالعربية والإنجليزية

محمد جمال

يمسك بيديه أخشاب الزيتون، يصنع منها أشكالاً فنية مميزة تعبر عن تراث فلسطيني أصيل، يتعامل مع آلة حفر يدوية صغيرة، ساعدته على إتقان مهنة صعبة تستوجب بذل جهد شاق وتحتاج إلى ذكاء رغم كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب، لكنها الموهبة وسعة الخيال التي مكنته من حفر الأسماء على الخشب ورسمها بمجرد النظر إليها بعد أن يكتب له الزبائن على الورق ما يريدون حفره.

خبرة سنوات

موسى شعيبات (50 عاماً) من بلدة بيت ساحور قرب بيت لحم يروي لـ "الحال" حكايته مع "مهنة تخريم الخشب" التي بدأها قبل 35 عاماً عندما التحق بمشاغل بيت ساحور للأشغال اليدوية لتعلم الحفر.

يقول شعيبات الذي يبيع منتجاته على بسطة صغيرة بالقرب من دوار الساعة في مدينة رام الله: تعلمت تخريم الصدف والخشب، لكن هذه المهنة تحتاج إلى دقة كبيرة خاصة أن المواد التي أتعامل معها صغيرة الحجم، وكلما صغر حجمها صعب تطويع الخشب وفق ما تريد، لكنني والحمد لله أقدم لزبائني شيئاً مميزاً، يمكن أن يكون هدية لابنائهم في الخارج، أو تذكراً لبعضهم بعضاً، لأن قيمة ما أنتجه ليست في المال بل بالتراث الذي أحاول تجسيده بالحفاظ على الهوية الفلسطينية، حيث أرسم علم فلسطين وخارطتها.

ألوان طبيعية

ويوضح شعيبات أن بعض الزبائن يبدون استغرابهم من عمله، ومنهم من لا يصدق أنه أمي، لأن مهنته تحتاج قدرة على قراءة الأحرف على أقل تقدير، ومع ذلك يقول: شاركت في عدة مهرجانات في الخارج، منها مهرجان حرش ومهرجان التسوق في دبي، إضافة إلى تمثيل فلسطين في عدة معارض



موسى شعيبات

فنية منها ما كان في ألمانيا.

ويضيف: أستخدم خشب الزيتون خاصة الروماني منه لما له من لون طبيعي جذاب يكون في العادة لونا بنياً مائلاً إلى البياض، لأن ساق الزيتون من الداخل توجد فيه ألوان طبيعية ذات لوحة جمالية بحد ذاتها، وهذه الألوان ربانية وطبيعية، هي التي تجعل المنتجات التي أحفرها على الخشب مميزة، ما يدفع المجموعات السياحية التي تزور رام الله إلى الالتقاء بي، والاطلاع على ما أصنعه أمامهم، معظمهم يطلبون مني حفر أسمائهم باللغة الإنجليزية، بحيث أرسم الحرف كما هو أمامي، والحمد لله عملي مميز بشهادة وزارة

السياحة الفلسطينية، التي منحتني عدة مرات المشاركة في معارض دولية، إضافة إلى مشاركتي مع وزارة التجارة والاقتصاد الوطني في معارض تجارية أيضاً.

طموح غير محدود

وأشار شعيبات إلى أنه بدأ عمله مع خطاط اسمه يعقوب بولص من بلدة بيت لحم عام 1978، حيث يقول: كان عملي في ذلك الوقت نحت أسماء المحلات على شكل أحرف بلاستيكية باللغتين الإنجليزية والعربية، إضافة إلى نحت أرقام الهواتف، ليكون العمل كاملاً.

وأكد شعيبات أن الرئيس الراحل ياسر عرفات كان معجباً بأدائه، موضحاً: من الكلمات التي سمعتها منه بعد زيارته في مقره، عندما شاهد جزءاً مما أنتجته: "هذا شغل فنان فلسطيني لا يقرأ ولا يكتب؟" لأن العمل اليدوي والحرفي يحتاج إلى الكثير من الإمكانيات المادية والفنية.

بواصل شعيبات عمله واثقاً بنفسه، يبحث عن كل شيء جديد، يحده الأمل مستقبلاً في افتتاح مركز لتدريب الشباب على هذه الصناعة للحفاظ على الأعمال اليدوية، لنقل صورة فلسطين إلى العالم الخارجي على قاعدة أن الطموح لا يعرف حدوداً.

بدعم مالي من المعهد الجمهوري الدولي

With Support From The
International Republican Institute



الآراء الواردة في البيدر تعبر عن وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المؤسسات القائمة عليه

الإشراف الإعلامي:

نبال ثوابته

سكرتارياً التحرير:

عماد الصيرفي
أيمن عبد المجيد
راقية ابو غوش
رامي مراد

رئيس التحرير:

د. نادر سعيد

